صوت الراوي

يصدر هـذا العـدد مـن **الراوي** متزامنـاً مـع احتفـالات الوطن بالمناسبة المئوية على بدء التأسـيس. وإذا رجـع البصـر والعقـل إلـى الـوراء ممعنـاً فـي التـاريخ الأدبـي والثقـافي، لهـذا الجزء من الوطن العربي، ثم قارنه مع الواقـع المعـاش، سـيجد أنه أمام قفزات ثقافية متميزة، رعتها الدولــة، وسـاهم الكثـيرون من أبناء الوطن في بلورة توجهها.

وإذا كان الصوت الثقافي للوطـن لا يصـل إلـى بعـض أجزائه في زمن فائت، فإنــه اليـوم تجـاوز الوطـن المحلـي إلـى الوطن العربي الأكبر، ومن ثم انطلق إلى مسـاحات أوسـع فـي منتديـات ولقـاءات تعقد فـي قـارات مختلفـة. يحـدث ذلـك عـبر المشاركات الشخصية لكثيرين من أدباء ومثقفي وأكاديميي هـذا الصرح الشامخ، وكذلك من خـلال عشـرات الإصـدارات التـي تنشرها الجامعات والمؤسسات الثقافية.

ونـادي جدة الأدبي الثقافي يأخذ علــى عاتقـه المسـاهمة الجادة مع المؤسسات المختلفة، في بلورة واقع الثقافــة المحليـة، متكأ على تراث عربي وإسلامي عريق، ومستشـرفاً النهضـات

الأدبية والفنية في عالم الثقافة والأدب. يحدث ذلك من خلال ندواته ومحاضرته المتتابعة، ثم يمتد بشكل أكبر عبر إصداراته التي تعنى بجوانب الثقافة المختلفة.

لقد أصبحت **علامات** التي دخلت سنتها الثامنة علامة بارزة في سماء النقد العربي، وغدت **نوافذ** التي تعنى بترجمة الأدب العالمي ذات مكانة لدى المهتمين والمتطلعين إلى آفاق عالمية أرحب، وها هي **الراوي** تركز على الفن القصصي، لتفتح له مجالاً أرحب، ثم صدرت **عبقر** لنشر الإبداع الشعري على مساحة الوطن العربي، وأخيراً صدرت الدورية الخامسة **جذور** من منطلق الاهتمام بالتراث وقضاياه.

هذا الجهد الذي يبذله نادي جدة الأدبي الثقافي يلقى أصداء إيجابية على مستويات محلية وعربية، بل يتعدى ذلك إلى مستويات أكبر. وأخيراً أثناء انعقاد المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين في رحاب جامعة أم القرى، توج سمو الرئيس العام لرعاية الشباب جهود النادي بموافقته على طلب رئيس نادي جدة الأدبي الثقافي أن يتولى النادي تنظيم المؤتمر الثالث.

أخيراً.. تسدي جماعة الراوي تهنئتها للقيادة والمواطن بهذه المناسبة المتميزة، وتتطلع إلى مستويات أعم وأرحب في عالم الثقافة والأدب. حفظ الله الجميع، ووفقهم لخدمة الوطن.

جماعة الراوي

راوي العدد :

محمد عبدالولي

من لواء تعز، ولـد سنة ١٩٤٠ مـن أب يمنـي وأم أثيوبيـة، نشـأ فـي أديس أبابـا، درس فـي مدرسـة الجالية اليمنيـة بـأديس أبابا ، ثـم عـاد إلـى اليمـن سنة ١٩٥٤ وتـزوج فـي العام نفسـه ، سـافر إلـى القـاهرة سـنة ١٩٥٥ للدراسـة ودرس فـي الأزهـر الشـريف وفـي مدرسـة المعـادي الثانويـة، وكـان يحضر العديد من الندوات ولـه صداقـات مـع أدبـاء مصريين ، طـرد مـن مصـر سـنة ١٩٥٩ بتهمـة الشـيوعية ، سـافر إلـى موسـكو ودرس فـي معهـد جوركي للآداب ، عاد إلى اليمن بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢، اشتغل في عدة منـاصب فـي مكتب رئيس الجمهورية، ثم قائماً بأعمـال سـفارات الجمهورية اليمنية، في موسكو وبرلين ومقديشـو؛

وأخيراً مديراً عاماً لشركة الطيران اليمنية، استقال من الوظائف الحكومية وافتتح داراً للنشر بتعز، سجن لمدة عام سنة 1968 ثم لمدة ثمانية أشهر سنة 1972 له من زوجته التي توفيت أيوب وبلقيس، ثم زوجته السويدية سارة وفاطمة، نشر مجموعته الأولى (الأرض يا سلمى) سنة 1966 ومجموعته الثانية (شيء اسمه الحنين). سنة 1972، يقال إنه ترك أعمالاً أدبية أخرى وقد نشرت له في مجلة الحكمة بعد وفاته بعض القصص القصيرة، مات محترقاً في حادثة الطائرة التي سقطت في 1973/4/30 والتي كانت في طريقها إلى المحافظة الخامسة باليمن الجنوبية.

نشر له بعد وفاته مجموعته الثالثة (عمنا صالح)، كما صدرت له روايتان: يموتون غرباء وصنعاء مدينة مفتوحة.

الأرض يا سلمى

مضت - سلمى - مسرعة لتفتح السواقي في الأرض القريبة من الدار بعد أن بدأت السحب تتجمع في السماء، وحين عادت إلى الدار كانت أبواب السماء قد تفتحت وانسكب المطر ، يروي عطش الأرض.

لم يكن لدى سلمى عمل تؤديه في ذلك العصر، فالسماء تمطر وجميع من في المنزل يغطون في نوم عميق. فلم تجد إلا أن تخلو إلى نفسها في غرفتها وأن تتمدد على سريرها مولية وجهها الصغير شطر النافذة المفتوحة على الحقول. ورأت مياه المطر تندفع من السواقي إلى الأرض العطشى، لكن خيال سلمى انطلق بها بعيداً عن الأرض والمطر إلى أشياء لم تكن لتفكر بها، وسمعت صوتاً كأنه همسات رقيقة يقول:

"سلمى - أخيراً ها أنت تواجهين نفسك. يجب ان تقولي الحقيقة، لا تحاولي التهرب من نفسك، فلن ينفعك ذلك.. يجب أن تقولي إن الانتظار قد طال وأنك لن تستطيعي التحمل أكثر من ذلك، حاولي أن تتذكري منذ كم غاب عنك "درهم" زوجك... من خمس سنوات كاملة

يا سلمى؛ وها أنت في السنة السادسة من الانتظار؛ وكم عمرك؟ احسبي دون تعجل: أنت الآن في السادسة والعشرين. نعم لقد بدأت تشعرين بأنك قد كبرت... وبسرعة دون أن تدركي ودون أن تحسي بالحياة وتتمتعي بها... هل أذكرك يا سلمى أنك قد تزوجت منذ عشر سنوات؟ نعم، غشر سنوات. وذهب زوجك بعد أن تركه في أحشائك، دون أن يعلم، لم تخبريه كعادة الكثيرات في القرية، وظننت أنه لن يغيب كثيراً.

ولكنه غاب أكثر من المرات السابقة.

مهلاً يا سلمى لا تجعلينا نسابق الأحداث.. لم لا نبدأ من البداية، منذ أن ولدت، أعني منذ أن تزوجت. ألست على حق؟

نعم إن ذلك ظاهر على وجهك.. لقد كنت صغيرة عندها، في السادسة عشرة من عمرك تعيشين في بيت والدك. وذات يوم سمعت همسات كثيرة. ونظرات مصوبة نحوك. وأحسست بما يدور حولك وشعرت بالسعادة ككل طفلة تفرح بعرسها - ولم تظهري فرحك ذلك للناس حتى لا تلوك الألسنة سيرتك ولكنك أبديتها لي.. أنا.. كنت أعرف كل شيء - لقد كنت سعيدة لأنك ستتزوجين "درهم"، وحين أقبلت عمتك وغطت وجهك "بالمقرمة" قائلة: "ثبت زواجك على درهم قاسم" أبديت مقاومة شديدة،

وجعلت تقذفين بالشتائم كل من حولك ولكنك في أعماقك كنت فرحة، وسالت الدموع.. دموع الفرح في عينيك، وظن الذين حولك أنك تبكين حزناً على فراق والدك.. ومنزله..

وعندما أتى أهل زوجك لنقلك إلى دارك الجديدة كنت تسرعين في الخطو، لتصلي بسرعة. ونبّهك الذين حولك، وشعرت بالخجل إذ خفت أن يكتشف الآخرون سر تلهُّفك وسرعتك.

ولكن يا سلمى. أكنت تحبين درهم حقاً؟

كلا - لا أظن!!

إذن ما سر سعادتك تلك؟

ألأنك طفلة؟ أم ظننت أنك ستخلصين من بيت والدك؟ من تلك الأعمال الشاقة التي كنت تقومين بها هناك؟، كنت تظنين أنك ستجدين الراحة والهدوء في منزل زوجك، فهل تحقق ذلك؟

لنرَ يا سلمى حياتك الجديدة في منزل زوجك، فبعد الأيام السبعة الأولى .. أيام العرس.. بدأت عملك كزوجة تخدم زوجها وأهله..

كنت تستيقظين من نومك مع أذان الفجر، فتحلبين البقرة ثم تذهبين إلى البئر بعد أن تضعي أمام البقرة بعض الحشائش وبعد أن تمتلىء جرتك بالماء تعودين لإعداد

الفطور لزوجك، وعند اقتراب الظهر تذهبين إلى الحقول لتعملي مع والد زوجك في الحرث والبذر والتنقية لتعودي منهوكة القوى لتعدّي وجبة الغداء - تطحنين الحبوب ثم تعجنينها كي تطعمي زوجك.

وبعد الغذاء يذهب لمضغ القات في حين أنك لم تتناولي غداءك، وهو غالباً ما يكون كإفطارك: قليلاً من الخبز مع رشفات من - القشر - أو عصيدة مع لبن.

ويأتي عمل ما بعد الظهر.. غسيل الملابس.. الذهاب إلى الجبل للبحث عن حطب للوقود.. الذهاب إلى البئر مع غروب الشمس لتأتي بماء المساء والتقاط بعض الحشائش للبقرة، وبعدها تعدين العشاء وتقدمينه لزوجك الذي يعود من المسجد بعد أداء الصلاة. وأنت كم مرة نسيت الصلاة وأنت ترتمين متعبة قرب منتصف الليل، لتعودي مع أذان الفجر إلى العمل.. إلى الإرهاق..

هذه هي حياتك كل يوم، هل فيها شيء جديد؟

إنها نفس الحياة التي كنت تعيشينها في منزل والدك لم يتغير إلا صاحب العمل.. كان في السابق والدك، أما الآن فزوجك. عشت معه أياماً، تركك بعدها إلى المدينة لكي يعمل ولم تحاولي منعه، بل أنك دفعته للسفر، لأنك تريدين أن يعود إليك ومعه قمصان حرير جديدة.. أدوات نسائية كتلك التي يعود بها أزواج صديقاتك.

ولم يخيّب زوجك أملك، عاد إليك بما كنت تحلمين بعد أن غاب عنك سنتين.

لم تتغير حياتك، أثناء وجوده أو في أثناء غيابه: ففي كلا الحالتين كنت تعملين بصمت من أجل أهله ومن أجل الأرض. يا سلمى عاد زوجك إلى المدينة، وغاب سنتين، ثم عاد مرة أخرى ليتركك بعدها وفي أحشائك طفلك الأول، وانتظرت عودته إليك وإلى طفله ليراه، ومضى عام.. وآخر، فخمسة ولم يعد. إنه مازال حياً هناك بعيداً في البحر.. البحر الكبير الذي يقولون إنه بلا نهاية. بحر كبير في أحضان بحر آخر أكبر يخوضه زوجك كل يوم.

وما أدراك يا سلمى أنه وحيد؟ لا تجعلي وجهك يصفر ولا ترتجفي. فكل شيء ليس سوى افتراض. فهو قد يكون وحيداً وقد لا يكون، فالرجال لا أحد يثق بهم.. خاصة حين يكونون بعيداً، لا تراهم عيوننا. فلم لا يكون زوجك أحدهم؟ أنت تعرفين قصة عمك – زيد – الذي ترك زوجته منذ عشرين عاماً.. ولم يعد. إنه حي وله زوجة وأولاد ويقولون إنه لن يعود وزوجته لاتزال تنتظر هنا.

فلم لا يكون زوجك مثل عمك؟ إنه بشر.. ورجل.. وهم دائماً ضعفاء كما يدّعون. قلت لك

لا ترتجفي. ولا تدعي الشكوك تساورك فكل شيء افتراض، فالحقيقة مجهولة، هناك وراء البحر مع زوجك. ثم لا تحاولي أن تفكري أن تفعلي مثله.. إنك لن تستطيعي. فهنا في القرية كل همسة يسمعها جميع الناس. ألم تلاحظي مثلاً في هذين اليومين الأخيرين أن الجميع يلاحقونك بالنظرات؟ ألم تلاحظي ذلك؟ لماذا يقذفونك بنظراتهم الصامتة تلك؟ إنك ذكية يا سلمى وقد عرفت..

إنك تتجملين.. نعم تتجملين، فهم لم يروك تتجملين منذ سافر زوجك منذ خمس سنوات.. ولا تحاولي أن تقول إنك شعرت بكبر سنك فحاولت أن تبدي صغيرة.. كلا فتلك طريقة غير محببة.

فالحقيقة يا سلمى إنك تتجملين من أجله.. من أجل "حسان" لا.. لا.. لا تجعلي قلبك يدق بهذه الشدة ولا تدعي الدعاء يحمر وجنتيك، فهما سيكشفان سرك، أرأيت انك مغرمة به؟

ليس عيباً أن يحب المرء.. ولكن العيب في أن يخون.. نعم.. إن الأمر جد خطير.. فالمرأة هنا ليس لها الحق بأن تحب من تشاء ولا أن تتمتع بشبابها فهي مجرد خادمة، يتزوجها الرجل لتخدم أهله.. ويتركها ويمضي بعيداً بعيداً.. ولا يعود.. وليس من حقها أن تطالب بالطلاق.. فالطلاق مكروه.. لا تضعي يديك فوق

صدرك.. فالطلاق ليس مكروهاً مادمت ستتمتعين بحياتك التي سرقها زوجك.. لكنك.. لن تحصلي عليه.. خاصة بعد أن مات والدك وليس لك من أحد يدافع عنك.. فأنت الآن خادمة، لأهل زوجك، لوالده، لابنه، لأرضه.. إنك لن تجني أية فائدة بحبك "لحسان" إنه شاب طيب تتمناه كل فتاة.. ولكنك لست فتاة – إنك امرأة لك طفل.. وزوج.. ثم هل تظنين أن أيام الطفولة حين كنت تلعبين معه في الجبل ويتخذك دائماً زوجته وأنتم تلعبون لعبة "الزوج والزوجة" تلك الأم قد ولت.. وأصبحت أنت اليوم كبيرة – خمس سنوات من الانتظار الطويل صعبة يا سلمى ولكن ما هو الحل؟

أن تطلبي الطلاق؟ وطفلك أين سيذهب؟

ثم من الذي سيتخذك زوجة له؟

أنت تعرفين تماماً أن الكثيرات بقين بدون زواج بعد طلاقهن وأن شباب القرية يبحثون فقط عن الفتيات. وأرضك يا سلمى. نعم أرضك هذه التي بذلت فيها حياتك.. شبابك.. دمك.. أرضك التي تسكبين عليها طوال الأعوام عرقك. كيف تدعين أرضك هذه ولمن؟

إنك تفكرين يا سلمى.. وهذا شيء طيب – أنت تعرفين أن لا أحد سواك يعرف قيمة هذه الأرض.. فزوجك إن عاد لم يهتم بالأرض.. وابنك عندما يكبر لن

تهمه هو أيضاً – سيتركها كما فعل والده ويذهب هناك بعيداً مثل الآخرين.

أرضك يا سلمى ذرفت عليها الدم والجهد ومنها تأكلين طوال العام. ومنها يأكل ابنك ويترعرع فوق ثراها. حتى زوجك حين يعود يأكل منها وأنت.. أنت من يخرج خيرات هذه الأرض. منها حبوبك وحشائش ماشيتك – ولبنك وسمنك.. وكل شيء في هذه القرية.. من الأرض. أليست الأرض حياتك.. وحياة ابنك الذي سيعرف عندما يكبر مدى الجهد الذي بذلته؟

أما "حسان" فهو كزوجك تماماً لن يعيش في القرية إلى الأبد.. سيغادرها غداً بعد أن يكون قد ترك امرأة وراءه تخدم أهله وتحرث الأرض وإن كنت أنت هذه المرأة. فما الفرق بين حياتك هنا وحياتك في بيته؟ لا فرق يا سلمى لا فرق.

وغاب الصوت وسلمى تنظر حواليها في ذهول ومياه الأمطار تتساقط في نغمات حالمة على الأرض فتنساب جداول إلى مدرجات الزراعة وتعانق جذور الزرع الأصفر وتهبه الحياة.

وفتح باب الغرفة.. دخل ابنها الصغير وارتمى في أحضانها وسلمى تهتف بداخلها – سأعلمه... سأعلمه كيف يحب الأرض.. بينما كانت المياه تغوص في أعماق الأرض.

أبو ربيّة

كانت قطرات قليلة تتساقط أمام الدكان وأنا واقف أرتجف من البرد. ولكن تلك القطرات لا تهمني. إن الذي يهمني هو لماذا تأخر..؟ ولمحت على الجدران بقرب الدكان آخر رسم له رسمه بالأمس، إن الرسم يبتسم.. كم هو لطيف "أبو ربية" هذا..

اتخذت درج الدكان مقعداً ورحت في تجميع ذكرياتي عن "أبو ربية".

كان ذلك من أعوام ثلاثة عندما أقبل وأنا جالس في الميدان الصغير.. أمام دكاننا. كان يسير بهدوء وهو ينظر إلى الأرض ويدفع الحجارة بدقميه، وفي عينيه تفكير عميق.. شيء ما كان يقلقه.. وعندما رآني ابتسم وقال: "هل تسمح لي بالجلوس؟ ونظرت إليه ضاحكاً: "ولم لا، الميدان حق الله."

هز رأسه مستغرباً وهو ينظر إلى الميدان وإلي.

- هل بقي شيء في هذا العالم..؟ إنني مستغرب

يا ابني" الناس أكلوا حقوق الله.. هذا الميدان حق الحكومة وأنت هنا تمثل الحكومة.

رحت أقهقه: أنا التلميذ في الابتدائية أمثل الحكومة؟. فكرة لطيفة!

- اجلس يا "أبو ربية".

- أنت من فين تعرف اسمي؟

- ومن لا يعرف اسمك في أديس أبابا؟

جلس بجانبي وراحت عصاه الصغيرة تخط على الأرض خطوطاً بدت غريبة في أول الأمر، لكنها سرعان ما أصبحت تكوِّن صورة مضحكة. تنفس بعمق وهو ينظر إلى ما خطته عصاه.

- اسمع: إيش اسمك؟

- سعيد.

- تدرس في مدرسة الجالية؟

- أيوة في الصف الخامس. قلتها بفخر.

كان "أبو ربية" في الخامسة والثلاثين من عمره، اسمر الوجه غائر العينين، ذا ابتسامة غامضة تسخر من كل الناس.

- اسمع يا سعيد.. تعرف مين رسمت؟

- هذا حمار...

ضربني على ظهري بعصاه بلطف قائلاً:

- شوف تمام.

لم يكن أمامي إلا صورة حمار، إلا أن الرأس كان غريباً لم يكن يشبه رأس حمار، ولكن وجه شخص ما معروف.

- هذا " يا جحش".

ورحت أضحك.. إن الصورة تشبهه تماماً.

- لكن ليش هو حمار؟

- اسمه يا جحش... وهو كمان حمار.. ما رضي أمس يعطينا " ربية"..

وصمت قليلاً ثم قال:

- إيش تشتهي تكون لما تكبر؟

أجبت بسرعة:- تاجر.

- حمار! ما تعرف ان بعض التجار ناس غير مرغوبين؟. تشتهي تكون مثلهم؟

- لا أشتهي أكون تاجراً منشان أساعد الفقراء.

إيه يا ابني كلهم لما كانوا صغاراً مثلك كانوا يقولون إنهم بيساعدوا الفقراء، واليوم معاهم فلوس كثيرة، نسوا الناس.. نسوا الفقراء.

واستمر:

– اسمع.. شوف بارسم لك حاجة. تشتهي؟

– أيوة.

راحت عصاه ترسم بسرعة على الأرض، وبعد قليل كان شيء ما يشبه الجبال والشمس والناس والحمير، وأشياء كثيرة لم أستطع أن أتبينها..

إيش هذا يا "أبو ربية"؟

– بلادك.

وراح يرسم ويرسم، والعرق يتصبب من وجهه، ورأيت دمعة تتحدر على وجنتيه، وعيناه الغائرتان تحملقان في الصورة التي رسمها.. والتفت فجأة وأشار إلى البعيد:

– تعرف إن بلادك هناك.. جميلة.. كلها جبال وأشجار وشمس ووديان.. إيه إيش عرفك، عادك جاهل، ما كنت في اليمن؟

– لا.

– إيش عرفك.. اسمع لازم تروح اليمن، إيش تسوي هنا إيش معك هنا في بلاد الناس؟

لم أجبه. إنني أعرف أن بلاد والدي بعيدة. لقد

سمعت والدي يتحدث كثيراً عن جدي الذي لم أره قط وعن إخوة لي لم أر حتى صورهم، وكذلك كنت أسمع من أصدقاء والدي عن أشياء كثيرة عن الذهب.. والجرائد وأشياء لم أكن أفهمها. وهمست إلى "أبو ربية" قائلاً:

– اسمع يا "أبو ربية" الجرائد إيش تقول؟

خبط على الأرض بهدوء قائلاً:

– إيش من جرائد، فيهم كذابون يا ابني لا تصدقهم، طماعين. يجروا ورى البيس، معك بيس باياكلوك ما معك ولا حد بايسلم عليك. اسمع يا سعيد كل اليمنيين ليش يهاجروا هم خوافين. ما قدروا يجلسوا في بلادهم وهربوا منها، خلوها لـ...، آه أنت ما تعرف بدأوا بالهجرة من ألف سنة. يمكن أكثر.. قالوا "سد مأرب" تهدم.. ومن هدمه.. فأر[١] صغير... شوف كذابين، هم هدموا السد بفسادهم ما قدروا يبنوا سدود ثانية هربوا.. الله يقول: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور".

أيوة يا سعيد بلدة طيبة كانت معانا.. وبلقيس، ما سمعت عن بلقيس؟ عادك جاهل، لما تكبر باتفهم كل

(١) إشارة إلى الأسطورة التي تقول إن فأراً كان ينحت في السد حتى تهدم.

شـيء، وبلقيس هذي كـانت أول "حرمـة[٢]"، فـي الدنيـا ينتخبها الشعب رئيسة، شوف إلى فين توصلت حضارتنا، وإيش معانا ذي الحين؟ كلنا هربنا خلينا الحريم في البـلاد، ما معانا اليوم إلا جنتين "ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل".

تتهد بعمق مستمراً في حديثه: أيوة رجعنا نلحس النعمة في بلاد الناس.. وبلاد الناس، وبلادنا كلها ذهب، الله قد قال في القرآن ما في أحسن من بلادنا، آه.. جنة بس تشتهي ناس تشتهي رجال.

وأصبحنا صديقين.. وكم ذهبنا معاً إلى منازل الأغنياء ليرسم صورهم على الجدران، هذا في صورة كبش ينطح صخرة. ونجلس بعيداً بينما يقترب الناس من الصور ضاحكين:

– تعرف يا سعيد: لو سافرت اليمن باكون غني.

– وباتنسى الناس الفقراء؟

ويقهقه مجيباً.

– لا ما بانسى. في اليمن الواحد في بلاده، أما هنا نحن في بلاد الناس، تعرف الواحد غريب، عيب يتفرجوا علينا ويقولوا: شوف هذا اليمني يمشي حافي ولاّ ثيابه

---

[٢] امرأة.

مقطعة لكن إيش نسوي، إذا كان الله أعطى الأغنياء قلوباً من حجر. ونفترق مع المساء.

بالرغم من الصداقة التي كانت تربطني "با أبو ربية" إلا أنني لم أكن أعرف أين يعيش وكيف وكلما سألته كان يجيب:

- يا شيخ أرض الله واسعة.

- لكنك قلت الناس أخذوا أرض الله.

- طيب لا تزعل أرض الحكومة واسعة.

لقد كان "أبو ربية" يتفنن في رسم أولئك الذين يكرههم وكان يقول لي: "تعرف اليوم يا جحش أعطاني خمس ربيات" ثم يضيف بفخر: "لكني رفضت علشان ما يقولوا أبو ربية طماع أخذت منه بس ربية واحدة".

كانت قطرات المطر مستمرة في التساقط. والرسوم على الحائط تبكي مع المطر والشارع خال سوى من عربات "الجاري" المندفعة تحت المطر.

إلى أين ذهب؟ لابد أن شيئاً ما قد حدث له، لم يغب طوال ثلاث سنوات كهذه المرة. لقد غاب مرة واحدة فقط وكان ذلك بسبب مرض ألم به، لقد كان منظره مؤلماً وقد نحل وأصبح كعصاه التي لا تفارقه... ضعفاً

واصفراراً. وقد أتى يعتذر عن تأخره... ومازال صوته يرن في أذني وهو يقول:

- إيش نسوي، الله بلانا بالمرض.. قد نحنا فقراء ما معانا بيس... يزيد الفقراء مرض..

- لكن يا "أبو ربية" ليش ما تشتغل؟

- عادك جاهل ما تعرف.. يا ابني مش أنا اشتغل كل يوم؟ وأنت: كنت أفتكر انك عاقل إيش يعني الرسم... اسمع الرسم أحسن شغل في الدنيا.

- أيوة لكن هذا الشغل ما يأكل أحد.

- ومن يشتهي يأكل؟ المهم الناس يكونوا مبسوطين لما يشوفوا الرسم حقي... الناس اشتهوا يقولون لهذا التاجر ولا ذاك إنه حمار أو كلب، وما يقدروا أما أنا أرسم ما أريده ولا حد يقدر يقول علي حاجة.

- ليش؟

- تعرف لما تقول لواحد كلب يزعل.. لكن لما ترسمه زي الكلب أو الحمار، تخلي الناس يضحكوا عليه وما يزعل: هذي طبيعة الناس.. عادك صغير لما تكبر باتعرف كل حاجة.

لكن "أبو ربية" لم يعد. لقد مضى أسبوع. ومعظم

رسومه قد انمحت من على الجدران، ماعدا صورة صغيرة رسمها لي وكم هي مضحكة..

لقد سألني مرة أيضاً:

- إيش تشتهي تكون لما تكبر؟

أجبت بسرعة:- رسام.

كانت الصورة لي وفي يدي ريشة وتحت الصورة كتب "أبو ربية": "برفية الصورة يا أهل الخير" وفجأة ترامى إلى أذني صوت والدي:

-مالك كل يوم عندك، بايقتلك البرد تشتهي تموت، هيّا ادخل داخل وإلا باجي أربيك.

ولكني كنت أنظر إلى الشاعر وفي عيني حزن عميق. ودخلت وجعلت أنظر إلى والدي الذي كان منهمكاً في كتابة الحسابات وسألته بهدوء:

- أبا.. ابا.. فين "أبو ربية"؟

- زفروا به.

- لا فين؟

- إلى اليمن.

- ليش؟

- مجنون.

***

وبعد خمس سنوات غادرت أديس أبابا إلى عدن. وفي ضجيج مقهى من مقاهي الشيخ عثمان وأنا جالس أحتسي قدحاً من الشاي لمحته مقبلاً.

وصرخت بسرعة:

- أبو ربية... أبو ربية.

والتفت إليّ.. وقبل أن أتمكن من القيام لمعانقته كان قد ترك المقهى وولى خارجاً.. جريت وراءه، إلا أنه غاب في الزحام. كان في ملابس ممزقة وقدمين حافيتين وفي وجهه آثار بؤس.

قال لي صاحب المقهى:

- من فين تعرفه.. اسمه المجنون.. جالس كل يوم يَشخطط[٣] على الجدران صور للناس مثل الكلاب..

أجبته: إنه ليس مجنوناً.

- إذا كان مش مجنون ليش ما يدور له على شغل ويشقى على بطنه...

وصمت..

(٣) يرسم باللهجة اليمنية.

الغول

- ١ -

الرياح تعصف في الخارج بشدة يا صديقتي، فاقتربي مني لأحكي لك قصة.. اصغي إلي جيداً.. لأنها قصة، سمعتها عندما كنت طفلاً ويسمعها كل أطفال قريتي الآن لأنها قصة انتصارنا.. إنها عن الغول في جبلنا.

لا أدري متى تبدأ القصة، ولكنها تقول إن الغول استوطن جبلنا حيث وجد غاراً كبيراً ومخيفاً.. لقد أصبح هذا الغار اليوم مرتعاً للحب.. عند رعاتنا.. وفي هذا الغار نسجت يا صديقتي.. أول حب.. وأول لقاء.

في هذا الغار الكبير والمخيف كان يعيش الغول. لا أحد يدري من أين أتى؟ ولماذا؟ وكيف؟ ولا أحد رآه وهو يصطاد فريسته.. ولكن الجميع رأوا بقايا ضحاياه.. وآثار جرائمه الكثيرة في الطريق بين قريتنا والجبل.. ونسجوا حوله الأساطير، قيل إنه يبقى.. وقيل إنه

لا يتأثر بالرصاص، وقيل إنه أتى إلى جبلنا لينتقم منا بعد أن غضب علينا الرب..

أي سخافات قالوها.. وأي تفاهات رددوها يا صديقتي، لكنهم معذورون لأنهم جهلة.. أنت تعرفين ناس قرانا جبناء إذ هم متفرقون.. وعباقرة وهم متحدون..

لقد قيلت يا صديقتي أحاديث كثيرة زادت من خوفهم، هل تتصورين هذا؟ ينسجون أحاديث ويصدقونها.. لقد أصبح الغول ملك الجبل بلا منازع لأنهم كانوا جبناء. وعند كل صباح كان الغول يرسل من مغارته المخيفة عظام ضحاياه من حيوانات تعيسة وبشر ساقهم التعس إلى فكّيه فلم ينجوا.. وفي الليالي المظلمة كان الغول يغزو قريتنا ويحطم أبواب حظائر الماشية ويحمل ما يشاء ويعود إلى الجبل ولا يستطيع أحد أن يقف في طريقه.. لقد كان كل شيء مباحاً له يا صديقتي.. بمنطق القوة.. وبالأساطير التي تنسج حوله مع كل ضحية.. إنه لا يموت في نظرهم فلماذا يقاومونه؟!

لماذا يعتبرون أنفسهم في شيء يخيل لهم إنهم متأكدون منه؟ لماذا يناضلون ضد أساطيرهم؟

ومضت الأيام والغول يزداد سيطرة.. وتزداد ضحاياه. ويصبح ملك الجبل وملك القرية.. بل ويملك أيضاً أرواح أولئك الذين جثوا أمامه.

وبمـرور الأيـام كـانت أسـاطير جديـدة تظهـر وأحاديث العجائز تدور حول الغول.. والغـول فقـط. حتـى الأطفال يرددون ببلاهة أحـاديث العجـائز وعيونـهم معلقـة بالجبل.

الرياح تعصف بشـدة.. والعاصفـة علـى الأبـواب، والمدفأة قد خلت من الخطب يا صديقتـي فـاقتربي منـي.. اقـتربي منـي.. فـالغول قـد جعـل كـل شـيء مخيفـاً.. غـير محتمل.. اسطورياً.. وتحـول الجبـل إلـى مكـان مجهـول لا تطأه قدم إنسان.

آه الريـاح البـاردة تذكرنـــي بــالخوف الــذي كــان يسيطر على أهل القرية وهم يغلقون أبواب منازلهم قبل أن تغيب الشمس.

- ٢ -

في ذلك الوقت والغول يسيطر على كل شيء كإله جديـد علـى الأرض كـانت امـرأة.. مجـرد امـرأة عاديـة.. وأم.. تعيش في القرية وكان اسمها هند.

لم يكن أحد يهتم بوجودها، فهـي فقيرة والنـاس لا يهتمون كثيراً بالفقراء، فهي قد فقدت كل ما تملك من مـال وأرض وحلي.. كل شيء لتهب ابنها الوحيد الحيـاة.. نعـم

يا صديقتي: كان لها طفل صغير في العاشرة تركه لها زوجها الذي مات في أعماق البحار.. لقد كان أحد مغامري بلادنا الشجعان الذين يوجدون في كل مكان وفوق كل بحر.. لقد صنع بحارو بلادنا، يا صديقتي.. تاريخاً لنا عظيماً.. تايخاً منسياً لا يعرفه أحد.. سوى البحر نفسه.. آه كم هم عظماء أولئك الذين يموتون بصمت بعد أن يخلفوا مآثر..

لقد مات وترك زوجته وطفله.. ومرض الطفل فباعت الأم كل ما تملك.. وصلّت.. ودعت.. وزارت قبور جميع الأولياء، ولكن أبواب السماء لا تريد.. زيارة الأولياء.. إنها تحتاج إلى عمل.. لكن هند.. المسكينة لم تكن تعلم ففقدت كل شيء ولم يبق لها سوى شيء واحد: جسدها. وأرادت بيعه في سوق الرقيق، إلا أن القرية وأي قرية صغيرة في قرى بلادنا ليس فيها متاجر لبيع الرقيق. ثم إنها لا تملك الجمال، ذلك الشيء الرائع.. الإلهي. إنها امرأة عادية والمرأة العادية لا جمال لها سوى قلبها. سوى عملها، سوى نضالها، وهذا الجمال لا يباع مطلقاً في سوق الرقيق.

هذا هو الجمال الذي كانت تملكه هند يا صديقتي.

وفقدت الأمل.. ولم تجد إلا أن تجلس بجانب ابنها الصغير تغسل وجهه المصفر بدموعها الغزيرة..

ألا تزال الرياح في الخارج تصفر يا صديقتي؟ إنني لم أنته بعد من القصة..

- ٣ -

هناك أمر عجيب يصنعه الإنسان ذلك العظيم.. يصنعه دائماً دون تخطيط مسبق. لقد بدأت هند وهي تسكب دموعها الغزيرة تخلط بين الواقع والخيال، فحلمت أن دواء ابنها الوحيد يوجد هناك، في المغارة.. في الجبل حيث ينام الغول..

الدواء هو قلب ذلك الغول القاسي.. هو القلب الذي نبض بدماء الآخرين.. في ذلك القلب كان الدواء.. فلم تفكر هند كثيراً ووجدت نفسها دون أن تدري أمام باب المغارة. إن القوة العجيبة، قوة الأمومة التي لا تستطيع أن نعبر عنها بكلماتنا البسيطة، قد دفعت بهند، تلك المرأة المحطمة، الضعيفة والفقيرة، إلى باب من سيطر خوفه على قلوب كل رجال قريتنا في سبيل أن تحصل على الدواء.

لقد قتلت هند الأسطورة.. لم يصدق الغول إن إنساناً ما يتجرأ وينتهك حدوده ويأتي إلى عقر داره.. ورأى ذلك تحدياً لقوته وهيبته، تهب من داخل مغارته.. وكم كانت دهشته عظيمة حين رأى أمامه امرأة صغيرة

صفراء اللون.. ضعيفة وهزيلة تكاد مـن فـرط ضعفهـا أن تسقط أرضاً.. لكن ذلك زاده غيظاً إذ وجـد أن الـذي هتـك هدوءه ووحدته وأسطورته ليس سوى امرأة، وليس إنسـاناً آخر أقوى منها. وشعر بأن كرامته قد جرحت وأهينت..

لكن هنداً لم تخف بـل ازدادت قـوة وجـراءة حيـن رأت الغول.. وبدأت تجمع شجاعتها وعزيمتها حتى تخرج من مكانها منتصرة لتوصل الدواء لابنها.

كانت الشمس تشع بقوة.. والأشجار تـتراقص فـي طرب، والعصافير الصغيرة علـى الأغصـان تغـرد بشـجو وهي ترى الإنسان يتحدى قدره، ويحطـم الأسـطورة التـي صنعها بيده. وأراد الغـول أن يسـأل المـرأة الجسـور التـي حطمت بتصميمها وإرادتها أسـطورته عـن سـبب مجيئهـا، ومجابهته يا صديقتي دون خوف:

- يـا غـول.. كـن مـن شئت ومهمـا كـانت قوتـك فإنني أمّ أبحث عن دواء لابني؛ وقد علمت أن الدواء ليـس سوى قلبك، لذلك أتيت لآخذ الدواء أردت أم لم ترد..

تجمّع كل غضب الدنيا في تلـك اللحظـة فـي وجـه الغول وهو يسمع ما تقوله المرأة.. إنها تتحداه علنـاً.. إنهـا تستعين به؛ فقـال وهـو يحـاول أن يكـون صـارمـاً، مخيفـاً، أسطورياً:

- اسمعي أيها العجوز! أنت أول من حطم صمتي.. ومن تحدى قوتي. وقد أقسمت أن أحطمك.. أن أجعلك.. سخرية للجميع. إني لن أترك لك أثراً على هذه البسيطة.

لكن هنداً كانت قد حطمت نهائياً الأسطورة في قلبها وشعرت بأن عليها أن تقاتل إن أرادت أن توصل لابنها الدواء..

أما أن تخاف.. أن تتذلل فذلك معناه هلاكها.. فلم تهتم كثيراً بما قاله الغول، بل ابتسمت ساخرة وفي عينيها يتطاير شرر الكراهية والبغض لذلك المخلوق الذي بذر الخوف في كل مكان وقالت:

- إنك لست سوى مخلوق تافه.. صنع الآخرون أسطورتك فصدقتها أنت وصدقها الأغبياء في القرية.. إنني.. سآخذ قلبك.. سواء أتركتني بهدوء أم لا. إني مستعدة لآخذ ما أريده بالقوة..

حاول الغول أن يقهقه، لكن قهقهته كانت ميتة، جامدة باردة، وشعر أن عليه أن يعمل شيئاً قبل أن ينهار.

- إنك أيتها العجوز لا تقدرين قوتك.. لعل الجنون قد دفع بك إلى هذه المخاطرة. إنني رحمة بك سأسامحك هذه المرة.. إنك أمام من خضعت الرقاب له.. أمام ملك

الجبل والقرية، أمام من منتصر على الجميع.. أمام من لا يموت..

كان يعرف إنه يكذب، وكانت هند تعرف ذلك أيضاً:

- من أنت حتى يخافك البشر؟. من أنت حتى نضع رقابنا تحت قدميك؟

آه يا صديقتي لو رأيت هنداً وهي تتخذ طريقها إلى قلب الغول! لو رأيت الخوف يتجمع مرة واحدة في وجه مخلوق واحد.. الخوف والشجاعة..

لقد تأكد الغول نهائياً أن أسطورته ستنهار إذا لم يصمد أمام هذه المرأة.. لكن ماذا تقول لمن قد تملكه الخوف، كل الخوف، وهو يرى الشجاعة أمامه!. إن الأم تتحداه. الإنسان يتحداه بشجاعة.. بصموده الرائع أمام التفاهات.

وهجم الغول وكله خوف.. فتلقته هند وفي عيونها روعة الإنسان في قمة شجاعته.

آه لو ترين ملحمة الإنسان الخالدة.. وهو يناضل من أجل غده، من أجل أن يعيش آخرون سعداء..

آه يا صديقتي لو رأيت هنداً وهي تقاتل ذلك

الغول، ذلك الأسطورة التي تحطمت لكي تعود إلى ابنها لتهبه الحياة..

كل شيء كان يتساءل: من سوف ينتصر؟ الإنسان.. أم الغول.. العصافير توقفت عن صداحها والشمس تحملق وقد علتها الصفرة والاشجار توقفت عن الاهتزاز والرياح قد حبست أنفاسها.. حتى الجبل الذي كان خاضعاً للغول.. كان قد أمسك قلبه بيده منتظراً خلاصه من العبودية.

وسالت الدماء.. وصرخ الغول يا صديقتي. لقد انهزم. وغنّت الطبيعة أنشودة الخلاص. أنشودة الروعة.. ورقص الجبل رقصة شعبية على أنغام هبوب الريح.. وصداح العصافير.. وكانت الشمس تمد يدها الذهبية محيية انتصار هند..

وقامت هند وقد تمزقت ملابسها السوداء وسالت الدماء من كل جزء من جسدها الفتي.. جسدها الذي كان في تلك اللحظة أجمل ما في العالم - شهادة شجاعة الإنسان.. وشعرها الأسود الناعم الذي لم تهم به يوماً من الأيام كان قد استرسل على كتفيها وقد سالت عليه قطرات دم. ونظرت حولها وهي تحمل في يديها قلب الغول.. ومضت بسرعة إلى القرية.. إلى ابنها وكل شيء حولها

ويرقص.. وبجانب بوابة المغارة.. تمدد ملك الأمس.. وفي القرية في زاوية مظلمة.. من منزل صغير متهدم.. كان إنسان الغد يتحرك.

لقد انتهت العاصفة يا صديقتي وانتهت قصتي..

دعينا نتعانق.. لقد انتصرنا.. يا صديقتي، الشمس ترسل أشعتها الذهبية على جبلنا.. والسماء تضحك طرباً.. دعينا نبتسم.. دعينا نبتسم.

الشهادات

محمد عبدالولي بين القصة والشعر

كان محمد عبدالولي، أول قاص في اليمن يجمع في قصصه بين الشعر والواقع، بين المباشر واللامباشر، بين السياسة والفن، وكانت قصته "الغول" البداية إلى هذا النوع من المزاج الفني الدقيق بين الواقع والخرافة، بين الاستيعاب التصوري لأوضاع الوطن، والاستيعاب الميثولوجي لتراثنا الأسطوري:

"الرياح تعصف في الخارج بشدة يا صديقتي، فاقتربي مني لأحكي لك قصة.. أصغي جيداً.. لأنها قصة سمعتها عندما كنت طفلاً، ويسمعها كل أطفال قريتي الآن لأنها قصة انتصارنا.. إنها عن الغول في جبلنا".

المطلع واقعي الحس، يشكل مدخلاً بسيطاً، وبعيداً عن التعقيد والغموض إلى عالم يسخر بالمخاوف

والغموض، يفيض بالرمز، وفي هـذا التصعيد الرائـع مـن البسيط إلى المعقد، ومن الواقعي إلى الخيال، من الواضـح إلـى الغـامض، فـي هــذا التصعيـد تكمـن براعــة محمـد عبدالولي ككاتب قصة قصيرة، لا راوي (حواديت).

وفي ذلك المدخل القصير، وفـي التداخـل الموفـق بيـن الوصـف والقص أعطـى لقصــة "الغـول" مواصفــات القصة الفنية المتطورة، التي يطمح كل قاص إلى الوصول إليها.

يخيل إليّ أن محمد عبدالولي لو لـم يكتـب القصــة ويختارها لتكون وسيلته إلى التعبير عن همومه المعـاصرة لاختار جانب الشعر ولكان شاعراً مبدعاً وموهوباً كما هـو الآن في القصة مبدعاً موهوباً. ورغم أنه قد صـار قاصـاً وليس شاعراً فإن الشعر قد أفاد منه إذ لا تكاد تخلو قصـة من أقاصيصه الكثيرة من لوحة أو لوحـات شـعرية تتبـض بروح شاعرية جميلة. وهو غالباً ما مهد لأحداث قصصـه بمقدمـة تكـاد تكـون قصيـدة قصـيرة من هـذا النـوع الـذي يسمونه الشعر المنثور. أو بقصيـدة النـثر، رغـم أن محمـد عبدالولي قاص واقعي. والواقعية تتغلغل في أعمالـه حتـى العظـم. وكـل الشـخوص التـي تجسـد أقاصيصـه مـن قلـب

واقعنا في الوطن وفي المهجر. وكل أبطالـه يمنيـون لحماً وعظماً ودماً وتفكيراً وأشـواقاً. وبعـد ذلـك يستوى عندنـا أكان هؤلاء الأبطال يعيشون معنا أم هم يحيون بعيداً عنـا فهم على أي حال معنا يأكلون ويتنفسون ويحلمون.

د. عبدالعزيز المقالح

محمد عبدالولي وتاريخ القصة اليمنية

يعتبر ظاهرة فريدة في تاريخ القصة اليمنية ، فقد برز كنبتة عجيبة شقت طريقها بيـن صخـور مصمتـة، ثم أورقت وتعالت وأخذت تمنح عطاءها لا تكف، رغم الفقـر الذي يحيط بها.

كـانت القصـة فـي منتصـف الخمسينات حين بـدأ يكتب لم تصل - سواء في الشمال أو فـي الجنـوب _ إلـى مرحلـة التمـيز كفـن لـه عطـره الخـاص ، بـل كـانت تفهـم كحليـة أو كأسـلوب للتعبير عـن الشـعارات السياسـية ، أو لنقـل مشـغوليات المجتمـع أو للتعبير عـن أفكـار المؤلــف وثقافته ونقل حكمته للآخرين. فلم تكن تصدر.. عن موقف

المعاناة والتجربة الخاصة والذاتية في التعبير ، بل كانت انعكاساً لتجارب الآخرين ونقلاً عن ثقافة محفوظة بين صفحات الكتب. ومن ناحية أخرى لم تكن القصة نفسها قد أصبحت شيئاً له خصوصية وميزة، ويقصده المؤلف كفن له إمكانياته الخاصة التي تميزه عن الفنون الأخرى. بل كانت مجرد أسلوب لخدمة مقالة أو بحث أو فكرة، ومن هنا – وكما سبق أن ذكرت – لم تبح بأسرارها الفنية الخالصة لأحد ، بل احتفظت بها للعاشق المنتظر.

وجاء محمدعبدالولي فانتقلت القصة على يديه فجأة، من ذلك المجال الضيق إلى الميدان العالمي للقصة، وتحس بالفرق واضحاً بين الأسلوب القصصي.. عند غيره وبين القصة ذات الأريج المميز عنده، فلم يكتب القصة صدى لأفكار الآخرين، أو انعكاساً لأفكار شائعة، بل كان يكتبها من موقع "المعاناة الشخصية"، فكانت تعايشه في داخله، وتظل تتخلق عضواً عضواً حتى تتكون ملامحها الخاصة، ثم لا يتركها بعد أن ينتهي منها، بل تظل تشغله ويحاور نفسه إزاءها، حتى تتطور وتصبح مرحلة يجاوزها إلى مرحلة أخرى. ومن هنا كانت المراحل التي مر بها في فترة عمره القصير (١٩٤٠ – ١٩٧٣)

واضحة ومميزة بمشغولياتها الخاصة والمنتزعة من واقع تجاربه، وكانت دائماً في خط بياني صاعد، سواء في رؤيته لواقعه أو في شكله الفني.

وليس معنى أنه يكتب من موقع "المعاناة الشخصية" أنه ينحصر في ذاته أو يلوك مشغولياته الخاصة، فهو فنان قصصي، يحس ويعاني ويعايش ويسافر ويجرب ويقرأ، ثم يرتفع – وهذا هو المهم – من نقطة الذات إلى مجال الفن الأرحب، فيجعل منها قضية عامة، أو موقفاً فلسفياً، أو ميداناً لتزاحم النوازع البشرية، إنه دائماً ضد الانفعال المباشر، الذي يصدر إما عن شخصية سريعة الاستجابة تتذبذب أعصابها بسرعة فتجيد الصياح والصوت العالي أو من شخصية لا تحبس انفعالاتها ولا تعايشها كثيراً ثم تلقي بها غير ناضجة لا تبدو عليها خصائص الأبوة، بل هي شيء من نتاج الآخرين.

ودائماً يفعل ذلك في كل مشغولياته التي تتأثر بمراحل تطوره، فموقفه من الجنس ليس موقف المحروم الذي يعبر عن حرمانه بسرعة وبإثارة، وموقفه من قضية "المولّدين" ليس موقف من يحب بالاضطهاد فيندفع بالشتائم والحقد على الآخرين، وموقفه من المجتمع ليس موقف من

يغريه بريق مشكلة سريعة أو ظاهرة جزئية، فينحصر فيها لا يتعداها. حتى القصص الوطنية، والتي هي عادة شرك يقع فيه الكثيرون فيندفعون إلى الحماسة والدعاية والإثارة، حتى تلك القصص تتحول عنده إلى معاناة شخصية يعالجها بهدوء، فترتفع من موقف المباشرة إلى موقف النظرة التي ترتد وراء السطح.

وبسبب هذا الهدوء وتماسك الأعصاب تميز بصفة أساسية لا تخطئها في عمل من أعماله، وهي صفة "التحليل"، وتلك هي الإضافة التي اضافها إلى مسيرة القصة اليمنية. فقد كانت القصة قبله تكتب من الخارج في كل شيء، قد تستهوي القاص شخصية معينة فيقتطعها من الواقع، كشيء قائم بذاته ولا يتنبه للعلاقات التي تربطها بالآخرين، ثم يتحدث في الأعم الأغلب عن ملامحها الخارجية، أو على أحسن الفروض يتحدث عن آلامها دون أن يغوص بهذه الآلام إلى الجذور، أو يرتفع بها إلى آفاق إنسانية. أما محمد عبدالولي فهو.. يضيق بالسطح في كل شيء. لأنه دائماً يحاور نفسه، وتظهر له تلك المحاورة أبعاداً قد تخفى على المتعجلين، فهو إن كتب عن قضية المولدين لا يتناولها بطريقة إنفعالية، وإن كتب عن

المجتمع لا تستهويه ظاهرة فردية، حتى لو كتب عن شخصية - وقليلاً ما يحدث هذا - فإنه يغوص ويكتشف علاقاتها مع الآخرين ويجعلها سلماً للحديث عن أفكار جوهرية.

د. عبدالحميد إبراهيم

محمد عبدالولي والهجرة اليمنية

إذا كانت السيرة الذاتية لمحمد عبدالولي تشير إلى دراسته في روسيا، ونعته بـ "الاشتراكية"، وربما أكثر من ذلك، فإن الدارس لقصص محمد عبدالولي لا يجد هذا التوجه في كتاباته القصصية. فالملاحظ أنه ينزع في كتاباته نحو الواقعية النقدية، التي لا تقف عند حد تسجيل الواقع ووصفه، بل تتعداه إلى اتخاذ موقف من هذا الواقع. كما أنها تركز بشكل أساس على الواقع السلبي لدى الفرد والمجتمع، والكشف عن حوافز ودوافع السلوكيات، وتتجه نحوالتشاؤم في رؤية الواقع. فالواقعية النقدية لا تقدم بديلاً أفضل لهذا الواقع، بل تكتفي بإبراز جوانبه السلبية.

ومحمد عبدالولي يسير في معظم قصصه ضمن هذا الاتجاه، كما سيتضح خلال الأسطر التالية. أما بالنسبة للموضوعات التي تعالجها القصص، فإن القارىء يلحظ ثلاث قضايا أساسية منها الحياة في السجن، والعلاقة الجسدية بين المرأة والرجل، والثالثة والأهم قضية الهجرة اليمنية، التي تاتي كأبرز الموضوعات في القصة اليمنية بشكل عام.

معالجة هذه القضية عند محمد عبدالولي تأخذ عدة أبعاد. فهناك البعد الفردي والبعد الاجتماعي والبعد الوطني. وتتم معالجتها بشكل جزئي حيناً، وأحياناً تتمازج مع بعضها في المعالجة. فقصة (أبو ربية) التي يبدو أنها تتكىء على تجربة المؤلف في بداية حياته التي قضاها في أديس أبابا، تعالج مشكلة الاغتراب والهجرة، وتطرح الرؤية من منظور إحدى الشخصيات التي تعيش هذا الواقع. فالشخصية الرئيسة (أبو ربية) ترى أن الهجرة تأتي من منطلق أناني بالدرجة الأولى، وتركز هذه الشخصية على ضرورة التشبث بالوطن والالتصاق به. وأبو ربية يبدو عاقلاً وحكيماً فيما يطرحه من أفكار حول الهجرة والوطن، لكن المحيطين به ينظرون إليه بشكل سلبي؛ لأن أفكاره تكشف واقعهم، وتخالف رؤيتهم. فنعته

بالجنون يأتي محاولة لتقليل تأثيره على الآخرين. والراوي الألصق به يقرر بصرامة في آخر القصة "إنه ليس مجنوناً". وربما كانت القصة أكثر تعبيراً لو انتهت عند هذه الجملة.

في قصة (ليته لم يعد) ينقلنا محمد عبدالولي إلى جانب آخر، لا يتعلق بالمغترب نفسه الذي اختار الاغتراب والهجرة، بل يرتبط بأثر ذلك على مجتمعه الصغير الذي هجره. وعبارة "ليته لم يعد" كانت لسان حال الزوجة والأبناء. فالسعادة التي غمرتهم حين بلغهم نبأ عودة رب الأسرة لا توصف، لا لمجيئه فحسب بل لأنه يأتي مصحوباً بخير وفير! لكنهم أصيبوا بخيبة أمل كبيرة حيث جيء به محولاً من شدة المرض ولم يبق منه سوى حياة في عينيه، وليس بحوزته أي شيء. فالجانب الإيجابي الذي يمنّي المغترب به نفسه وأهله قد يرتد بشكل أكثر سلبية. فالمسألة تعدت عدم الكسب إلى فقد الصحة وربما الحياة، إضافة إلى الآثار النفسية التي تنعكس على الأسرة زوجة وأطفالاً.

أما قصة (الأرض يا سلمى) فقد امتزجت فيها سلمى بالوطن وأصبحت هي رمزاً للأرض. وإذا كان الزوج (الأب) قد هجر الأرض (الوطن) فقد كان ذلك

درساً عميقاً تعلمت منه سلمى. فهي لن تدع ابنها الصغير يهجر أرضه، فقد قررت "سأعلمه كيف يحب الأرض". وهنا يخرج محمد عبدالولي عن نظرته التشاؤمية إلى إيجابية صارمة. أما المهاجر فقد تم تناسيه من قبل أقرب الناس إليه (زوجته).

وحين النظر إلى قصص أخرى نجد جانباً آخر يتعلق بالإحساس بالاغتراب داخل الوطن بعد العودة من الهجرة. فقصة (أصدقاء الرماد) تصور الواقع المرير الذي يعيشه البطل داخل مجتمعه. فبعد أن درس الطب في امريكا عاد لخدمة الوطن بحماس شديد، لكنه أحبط بواقع الفساد وسوء الإدارة على كافة المستويات في المجتمع. ظل صامداً، لكنه تم التخلص منه بنقله إلى منطقة نائية لا تتوفر فيها أي إمكانات تساعده في أداء عمله. واكتشف أن العديد من الأشخاص مروا بنفس التجربة.

وحين النظر إلى قصة (شيء اسمه الحنين) يلاحظ أنها تصلح أن تكون امتداداً للقصة السابقة (أصدقاء الرماد). فالبطل يعيش الظروف نفسها وتتكرر المعاناة من الواقع الاجتماعي والإداري. ويصل الأمر بالبطل إلى حد اليأس العميق فيقرر العودة إلى أمريكا بحجة الحصول على مزيد من المعرفة، لكن صديقه يصر أن رحيله لا

يختلف في الواقع عن رحيل الآخرين الذين يهربون بحجة البحث عن فرص عمل، غير عابئين بالوطن. لكن القصة تنتهي دون الإشارة إلى حدوث الرحيل. وفي معظم قصصه يركز محمد عبدالولي على المواطنة والوطنية رغم المرارة والألم والمعاناة التي يعيشها كثير من أبطاله.

وعند النظر جزئياً إلى الجانب الفني في قصص محمد عبدالولي يلحظ القارىء أن الحوار يظل التقنية الرئيسة التي تتكىء عليها كثير من القصص إلى جانب التقنيات الأخرى.

وحين لا يكون الحوار بين الشخصيات (Dialogue) فإنه يصبح ذاتياً مع النفس (Monologue) كما في قصة (الأرض يا سلمى). ويرتبط بالحوار اللغة المستخدمة التي تتراوح بين الفصحى والعامية، لكن يلاحظ تفاوت هذا الاستخدام عند محمد عبدالولي. فإذا كان الحوار في قصة (أبو ربية) يدور بالعامية، فإنه في قصة (أصدقاء الرماد) يكون بالفصحى. ولا شك أن المستوى التعليمي والثقافي يحدد نوع الحوار ولغته. إلا أن هذا ليس على إطلاقه، فنجده أحياناً – كما في قصة (ليته لم يعد) – يأتي بالفصحى غير عاكس لواقع الشخصيات الثقافي.

يميل محمد عبدالولي إلى استخدام ضمير المتكلم كراوٍ للقصة، وبالتالي يكون أحد أبطالها. ورغم أن هذا الراوي يعبر عن أحاسيسه وأفكاره الداخلية، فإنه لا يمكن له أن يدخل إلى أفكار ونفسيات الشخصيات الأخرى. وإن حدث ذلك فإنه سيتحول إلى راوٍ عليم ومثل هذا الراوي يرتبط عادة بالقصص ذات المستوى الفني الأقل نضوجاً.

وحين النظر إلى الحدث والزمن والشخصيات في قصص محمد عبدالولي نجد أنه على وعي كبير بمفهوم القصة القصيرة، التي انتقلت على يديه إلى مستوى فني كبير، ضمن إطار الموقع الجغرافي الذي ينطلق منه.

د. عبدالعزيز السبيل

قصص العدد

حسين علي حسين

من مواليد ١٩٥٠ (السعودية). أصدر العديد من المجموعات القصصية منها الرحيل (١٩٧٨)، ترنيمة الرجل المطارد (١٩٨٣)، طابور المياه الحديدية (١٩٨٥)، وكبير المقام (١٩٨٨).

حافة اليمامة حيدر العاقول

مدينة صغيرة ولكنها مفتوحة، قابلة للتوسع إلى ما لا نهاية، باتجاه الوادي، الدهناء، اليمن، الشرقية، الجنوب، وجنوب الجنوب، تعودنا أن الحدود المأهولة تنتهي مع آخر نخلة أو إثلة، لكنها هنا ليست واضحة، البيوت قليلة ومتناثرة، بعضها يشكل وحدة متلاصقة، الشوارع ضيقة، والنوافذ تحت السقوف مباشرة، تميزها المرازيب والسطوح والأبواب الخشبية المصنعة بطريقة رديئة وفجة، لكن النقوش التي يغلب عليها اللون الرماني تجعلها مقبولة وذات حميمية آسرة، عقدت صداقات متعددة هنا،

مع أناس لا حصر لهم، في الغالب غرباء عن هذه المدينة، كلهم حطت بهم في هذه الديار لقمة العيش، واحد فقط قابلته فقال إنه أتى إلى هنا دون هدف محدد، وجد من يريد القدوم فقال له آتي معك، لكن من جاء معه تاه منه، ليظل هو تائهاً يتخبط في الشوارع والمزارع وأمام المساجد، لكنه كما قال لي لم يشعر لحظة واحدة أنه فقد الأمل في حياة مستقرة وقرش دارج. حمدت الله على كل حال، فأنا عموماً بت أحسن من غيري، النقود جرت في يدي والعمل على خير مايرام، والكل هنا بات يحبني، لم أعد شامة في بياض، اندمجت في المجموع، أصبحت آكل المرقوق والجريش وحليب الخلفات وأصلي مع أهل الحي جماعة، غدوت واحداً منهم، لكن ما يقض مضجعي حقيقة أن لا خبر عن أحد من الرفاق، تاهوا في هذه المساحة الضيقة من الأرض، حمدان العاقول أين هو؟ وجد رعياناً يعمل معهم أم أنه تاه في القفار، ولفه غبار الصحراء؟ عرفته هب ريح، ولم يعرف عنه أحد أنه ينام وقلبه فارغ، قال إنه لم يخرج من المدينة دون خطة، دماغه مليء بالمشاريع، فأي مشاريع حشى بها حمدان دماغه غير جذ رؤوس الخرفان ومعالجة النوق والبحث عن أنسب المواقع لسقيا وتعليف البهائم؟ إن كانت هذه مشاريع فبئس

المشاريع، ذلك ما فكرت به حالما تداعت إلى خاطري أحاديثه عمّا كان ينوي عمله هنا، الوحيد الذي طار في الشوارع وكأنه وجد ضالته، أنعتق من أسر الشوارع الحجرية والجبال ووجد الطين والغبار، "هذا مكاني!!" قال لنا ذلك مشيراً إلى هذه المدينة، حالما قفز من وسط الشاحنة، واختفى في رحلة داخلية لا أدري حتى الآن ما هي نتائجها، إنني في شوق إلى يوم أقضيه معه، لا أريد أن أعود دون خبر عنه، ماذا يقولون عنا، خرجنا رفقة وعدنا فرادى؟ سوف أتفقد الخيام الكبيرة والصغيرة، أنزل إلى الأسواق المغلقة والمفتوحة، أذهب إلى زرائب البقر والأغنام، إن لزم الأمر أبحث عنه عند شيوخ العشائر، لا أنسى أبداً مراتعنا، لعبنا كثيراً في الأزقة، والأحواش، اختلفنا إلى أخنان الدجاج وسرقنا ما لا عد له من البيض والكتاكيت الصغيرة، خبأتها في الأمكنة الضيقة، لعبنا بها ثم تركناها تموت كأي نمل حقير، طفولة شقية لكنها ممتعة فمن يعيد لنا بعض تلك الأيام؟ من ينقذ أجسادنا الممصوصة من بعد هذا العناء؟ وصلت في لحظات إلى التساؤل عن جدوى الركض بحثاً عن النقود، لكنني تعودت في هذه المدينة على قبر كافة الأسئلة المحبطة، كان العمل قرة عيني، وحالما أنتهي منه يبدأ معي طيف

(صفية) يتجول معي، باعدت الأيام بيننا لكن بعدي عنها يلوح مع كل صباح جديد، وكأنه لم يمض على رؤيتي لها سوى لحظة واحدة، واحدة فقط، ما هو السر في ذلك؟ ألا توجد فتاة غيرها هنا؟

أتتني بعض أخبار (محمود فراج الواقد) كلهم لا يمدحونه، قيل لي إنه كثير الكلام، لكنه اعتبر من الواصلين في هذه المدينة، توسعت أحواله تماماً، يدير العديد من المهن، بقالات، مقاولات، محلات للملابس والأدوات المنزلية، من قال لي ذلك أضاف بأنه يدير كافة هذه الأعمال، لصالح امرأة بارعة الجمال، أعجبها فخطبته لنفسها، لاقت بعض المشاكل من معارفها، لكنه أقنعها بأن تقطع ألسنتهم بزواجها منه، لم أشفق على الواقد بقدر ما أشفقت على المرأة، سوف يحلبها كعنز، ثم يلفظها بعد أن يبدد مالها وأعمالها، إن الواقد رغم ضجيجه وحيويته الزائدة شخص غامض، نادراً ما تدل أقواله وتصرفاته عن دواخله، بعضنا لقبه بـ (الحية) يلدغ ويختفي فأين هو الآن؟ لابد أنه يضع رجلاً على رجل في ديوان واسع وحوله الخدم، أقبلت عليه الدنيا كلها، ومعها امرأة بارعة الجمال، من هذه المرأة القادرة على احتواء زئبقية الواقد؟ طلابه هناك لا حصر لهم، كلهم يترصدون له الأخطاء دون

جدوى، حتى عمدة الحي احتار في أمره، حاول التعرف عليه، دعوته، لكنه ابتعد عن طريقه فجأة، لكنني لم أفقد الأمل في العثور عليه، محادثته، معرفة أحواله، لا أريد منه شيئاً، أشعر فقط بمسئوليتي تجاه الجميع، لماذا أنا بالذات أشعر بذلك؟ لم يسأل عني أحد، مع إنني أطرح في أي لحظة أسماء الرفاق كلهم، لعل أحداً يعرف نتفاً من أخبارهم. عدا (الواقد) لم يصلني خبر عن أحد.

حجاج أبو وقتين؟ ياه؟ قلبي معك يا سيد الأفراح كلها، أنت الوحيد: لبست ثوباً غير ثوبك، قلعت من أرض صخرية وغرست في الرمل دفعة واحدة، في داخله نقاء الدنيا كلها، كان في المدينة نفسها كالغريب، يأتي ويذهب متعجلاً، لكن أحداً لم يغتبه قط، يلتقط رزقه من أي أرض كالحمامة، حتّى رزقه لم يكن له، كانت أمه تستولي عليه كله، لم تزوجه، لم تشتر له شيئاً ذا قيمة، طق، وجد أنه بلا ظل، هناك من أشفق عليه، أعطاه خطاباً لعل من يصله يتوسط له ليعمل هنا، وها قد مرت سنوات، شهور، أيام، غابت الأقمار والنجوم والطيور، وعادت دون جديد، عن (حجاج)، تحدثني نفسي بقرب الرحيل، فمن يساعدني في البحث عن الأصدقاء؟ تعبت وتعبت خطواتي، ارتفع القصر الكبير، زاره مالكه، قضى أياماً فيه، تفقد الزرع

والبهائم، فانشرح صدره وأنقد كل عامل مبلغاً من المال، ثم ركب سيارته متوجهاً إلىالحجاز للإعتمار، ولجلب بعض الأثاث للقصر، كان بودي أن لا ينتهي العمل، لا أريد هذا الرحيل المبكر، لم أكوّن نفسي كما ينبغي، ولم أجد عملاً بديلاً بعد سفر المعلم إلى بلدته.

لم آخذ فرصتي تماماً، لم أعمل في الحجر أبداً، مجالي الوحيد ظل بعيداً عني، ذلك أشعرني بالقلق، وجدت المال، لكن هل هو كل ما أريد؟ كنت ومنذ البداية أريد العمل الذي أحبه، إنني شاذ على القاعدة، كافة الناس يعملون ما يجدونه، وهم سعداء بذلك إلا أنا، كنت آنف من الإقبال على أي عمل لا أتقنه، ولا أدري كيف أقبلت علىالعمل في القصر الكبير، كيف تطور دوري فيه من عامل إلى مسؤول عن العديد من المهام، التي ساهمت في الانتهاء من العمل خلال فترة قياسية، وها أنا الآن عاطل، أدور في الأسواق والشوارع بلا جدوى، أما كان ممكناً تعطيل العمل، السير فيه ببطء كما يفعل غيرنا من المقاولين؟ فراج البجادي كان طينة أخرى، يعمل ليخلص، ذلك هدفه الدائم، حتى أنه غالباً ما يصبح مثلنا، ينتهي من عمل ليجلس بالأيام عاطلاً، لكن فراج البجادي ليس مثلي، بات لديه ما يقيه الحاجة، منازل، نقود، سيارة صغيرة، أنا

لم أحقق شيئاً ذا بال، بضع مئات من الريالات، ملابس شتوية، أواني، قليل من المدخرات التافهة، كل ذلك من الممكن أن يضيع في غمضة عين، هل أزور الواقد؟ ينقذني من نار الفراغ، لكن هذا الرجل ليس من أبحث عنه، هل عدم الرجال، بحيث أرمي بنفسي بين أحضان محمود فراج الواقد؟ رجل محموم قد يأكلني قبل أن أستقر بين يديه، لا أطمئن على نفسي معه، كيف وصل إلى هذه المكانة الكبيرة دون عناء؟ ربما هو الحجازي الوحيد البارز في هذه البلدة، ألا يوجد غيره هنا؟ عامر العوالي نافذ في أرجاء هذه المدينة، لكن أحداً لا يعرفه، دخلها غريباً ليضيع فيها؟ أين هو الآن؟ الناي جر عليه المشاكل "أنت قادم للعزف أم للعمل؟" سألته فقال لي بكثير من الهدوء. وقد رقت ملامحه: قد لا تستمتع وأنت تشرب ماءً عادياً ولكن شربك من ماء آخر، ينعشك ويجعل النشاط يدب في شرايينك كلها، هذا هو الفرق بين العزف والعمل، الناي روحي فلماذا أتركه! أين هذا العاشق الكبير من ذاك؟ هدني الجوع، جعلني أشبه العجوز في مظهري، داخلي هدمته المشاكل والبطالة، لا يوجد بيت فيه من المشاكل مثل بيتنا فكيف استطعت في ظل تلك المشاكل الاحتفاظ برأسي سليماً؟ سألت نفسي ولم أجد سوى تعبير

واحد سمعته من طرف خفـي، فقد قـال الواقـد ذات مسـاء عند تجمعنا على كومة أخشاب: حيـدر العـاقول لـه مظهـر شاب وقلب عجوز!!

قال له المزين: ما هذا الكلام الغريب؟!

فلم يجد الواقد غير أن يقول بنزقه المعروف: هـذا الآدمي ميت القلب.. لو كنت مثله لطقيت من لحظتي!!

مد المزين خيطاً من الحوار قائلاً بانفعـال خفيـف: ماذا تقصد؟

قال: لو كنت منه ما سكت على هذه الأحوال، أبوه عاطل، أمه ضعيفة، فلماذا لا يفعل شيئاً؟!

أعجبنـي المزيـن عندمـا وقـف علـى رأس الواقـد قائلاً: اسمع يا ولد فضة!! إذا كنت تملك الحـق فـي حشـر أنفك في شؤون الآخرين فلماذا لا تصلـح نفسـك أولاً، هـل ترى حقاً أن مقايضة النوى بالملح عملاً مشـرفاً.. إذا كـان كذلك فماذا تسمي سرقة البيـض والكتـاكيت الصغيرة مـن أخنانها؟!

لـم يجـب الواقـد بشـيء، لكننـي مـن تلـك اللحظـة عرفته، وأصبحت أتعامل معه بحدود، فكيف أعطي لنفسي الحق في اللجـوء إليـه؟ أفضـل المـوت علـى أفضالـه، هـل

ضاقت الفرص إلى هذه الدرجة؟ ما يحزنني أن الطريق إلى الجميع بات مسدوداً، فهل تهنا في هذه المساحة، أم فرقتنا النقود دون أن ندري؟ كثرت التساؤلات وتشعبت الهموم والسقف فوقي يكاد يتساقط نتفاً من ظلام وغبار ودخان، مددت رجلي، تثاءبت، وقلت إن الساعة آتية فلماذا الاستعجال؟ اللقمة وسوف تأتي طائعة مختارة وكذلك النوم والموت والحزن، ابتسم، وقلب وجهك في الأسواق، عاين المنازل الطينية والخيام، تفرس في الملامح الجديدة، اغشى مناسبات الأفراح والأحزان، ولا تحرم نفسك من شيء، عائد أنت إلى مستودع الحزن، الأسقف الواطئة، المزاريب العامرة بالماء العكر والأتربة. لا تستعجل الأمور، كن ميت القلب ذلك أجدى من هذا الزمن الرمادي!!

منذ جئت أرسلت بعض النقود إلى الوالد، أعرف أنه بعثرها، وأعرف أنني سوف أعود لأجد الحال كما هو، لا جديد، قالوا لنا في موقع العمل، لا يقطع هذه المسافات إلا ضائق، زائد عن الحاجة، ها نحن خمسة أو ستة أو سبعة، لم أعد أدري تماماً، تهنا، كل واحد في اتجاه مختلف، لا أحد يعرف شيئاً عن الآخر، نمنا وصحونا على النقود، إلى أن اتضح الأمر كله عن فراغ يشبه فراغ

هذه الصحراء، واحد فقط ذاع صيته، وأصبح معروفاً بين الجميع، كيف تم له ذلك؟!! أنا أعرف، وما أعرفه كفيل بسرقة عمره من هذه الديار، قد يعود مطروداً، لكنه لن يعود سليماً، لن يقف على قدميه مرة ثانية، من يموت هنا لن يحيا هناك، ذلك مؤكد، وربما نهائي! لن أذهب إليه، إذا قابلته سلمت عليه، تحاورت معه، لكن القشرة السميكة سوف تظل قائمة بيننا، الذين يهمونني قلة، لا تربطني بهم مصلحة، والحب والهموم أهم من نقود الدنيا كلها، أنا رجل عصامي، لا أؤمن بالصعود السريع، فأنا أملك رقبة واحدة، وقلباً واحداً، وصفية واحدة!!

رحماك يا رافع السموات العلية، أنقذ روحي من هذه الدوامة، أمدد خطواتي وسط الأفراح والليالي الملاح، ألهمني الراحة لأنصت للغناء ولأصوات العصافير ولأرقب الأبقار وهي تلف حول الآبار، لأرقب النخيل والناس وليس في القلب غير الراحة التي ما عرفتها منذ غادرت مدينتي الحجرية!!

* * *

فريد رمضان

من مواليد ١٩٦١ (البحرين) كتب الرواية. من مجموعاته القصصية: البياض (١٩٨٤)، تلك الصغيرة التي تشبهك (١٩٩١)، فوران (١٩٩٧).

النجمة

- كان الأجدى بك أن تكوني صبياً؟

رمى قربي المعول والمحفار ومشى. كنت أعرف هذا مسبقاً. كثيراً ما كان يقف أمام أمي ويردد ذلك دون أي اعتبار لي، أنا الصبية التي لا تكف عن رؤية أمنية أبيها المؤجلة.

في الساحة الواسعة، كان يبدو كمن يقود قطعانا من الشواهد التي تحابيه، تلتصق بخطواته وهو يمر حولها، شواهد مزينة بزجاجات ماء الورد الفارغة. لم يلتفت إليّ، كان يعرف بأنني قادمة خلفه، تشغلني أم

سليمان* ، وهي تندس في أحد الشقوق المنتشرة بين القبر وحشائش الصبار.

أمشي خلفه مثل ريح تحمل رائحة الفقد، مثل ندوب تنتشر في وجهه، يبدو عليه تعب السنوات، هذا أبي، رجل في الخامسة والأربعين من عمره، جئنا له وهو منشغل في حفر القبور وغسل الموتى. لم تكن نجمته ساطعة، ولم تظهر في سماء صافية، نجمته مطفأة وبعيدة في قرار السماء، لذلك لم ترأف به الأيام ولم تعذره. جاء إلى البحرين مثلما يأتي النزع الأخير، طافحاً، مخيفاً يترك حيرته أمام كل الجالسين.

في ليالي الصيف الطوال، وقبل أن نفرش مراقدنا فوق السطح لنتخفف بالرطوبة والطل، يظل يطالع السماء ويناجي نجمته: أيتها البعيدة هناك دليني على الطريق. هكذا تحكي أمي التي تزوجته وهو في الثانية والثلاثين. رجل قذفت به الحكاية ليغسل الموتى ويحفر القبور في مقبرة المحرق. جاء به أبوه من عُمان. تركه عند ساحل قرية البسيتين، في رعاية رجل يلقب بالخال. كان أسود، يغسل الموتى على أنغام محمد عبدالوهاب وهو يغني أغنية الدنيا سيجارة ونعاس، للي هجروه الناس، يضع جهاز الراديو ويستمع إلى إذاعة صوت العرب ولا يدخل

المغسل إلا بعد انتهاء الأغنية، وكثيراً ما كان ينسى نفسه فيدخل وهو يدندن بالأغنية أمام استغراب الآخرين من أهالي الميت ومساعديه، يدخن دون اهتمام لهيبة الجسد الممدود، ولا الألم أو البكاء المنتشر في الخارج، ينهمك في عمله مدندناً، يغني ويبكي على ذاكرة مجروحة دفعت به وهو في الغفلة نحو عذاب الحب.

هكذا وجد أبي نفسه،

رجلاً فقد ولادته فوقف على مشارف نهايات الآخرين من أهالي المحرق، يعريهم وينظفهم، يطهرهم ثم يلفهم في أكفانهم ويودعهم القبور مثلما يودع ابتساماته كل صباح، التي أوشكنا أن لا نراها، رجل واهن هلع، طفرت به حكاية غريبة لم يكف الخال أبداً عن تكرارها عليه، منذ أن كان فتى أخبره أن نجمته منذورة بغسل الموتى، كان يقول له: ريحك مسحورة منذ جبال عُمان التي نادت على أمك وأبيك ، جاء بك إلى البحرين وذهب قبل أن يفوته الموت. كانت أمك تنتظر عودته على شواطىء مطرح** قالوا لها سوف تموتين قبل مجيء بعلك الذي غاب طويلاً، ولكنه عاد لملمها وكانت ضعيفة، مهشمة، أخذها للبيت، ثم ذهب يسأل عن رجل وامرأة يغسلان الموتى حتى أصاب بيتهما، دعاهما على وجه السرعة، أدخلهما بيته، أخبر

المرأة بأن زوجته سوف تموت ولكنه أدرك بأن هذا الرجل ممسوس بساحرات متحفزات لوحشة قصية لن يقدر البيت على احتمالها، فرفع إزاره وشده على بطنه، وبدأ يغسل الرجل الذي كان قد فارق الحياة.

هذا أبوك يا عيسى،

تحمل اسمه المكتوب في اللوح،

له ما ذهب من الوقت، وما يأتي من الغيب.

هكذا ذهبا بعيداً عنه، وهو في عامه العاشر، غادرا متخففين من أثقال الوحشة قرب مواحل تحاصرها جبال قصية، تقذف كل مساء بكائناتها في وجه الخلائق المسحورة بما وراء الأمواج، فيصعدان السفن محملين بعزلة تسبق الوحي والموت وتتماثل للجبال العمانية وهي تبعث بأطيافها الشاهقة لتنثال في مياه الخليج.

وقف بثقة العارف، تناول المعول وبدأ يحفر. التفت إليّ يستعجلني فتركت أم سليمان تنجو بنفسها وركضت إليه، يثقلني المحفار فأجرّه بين القبور غير مكترثة بهيبة المكان. طالعني ولم يتكلم، كنت أعرف ما لنظراته من معنى يجترح الكلام، النظرات التي دائماً ما تطمئنني بمكوثي اليومي معه وسط المقبرة. ونادراً ما كنت أرد عليه بابتسامة القبول الذي يفرح حين يراها

واضحة في تقاسيم وجهي. كان يريدني دائماً أن أبدو له ذلك الصبي الذي يتمنى. صبي دون شكل واضح، يرتدي ثوبه المتسخ ويحمل في جيبه فخاً خشبياً لصيد الطيور. صبي لا يخاف وحشة المكان، ولا ترهبه العظام التي تظهر أحياناً وهو يحفر القبور.

أب وابنته، معول ومحفار، فخاخ وطيور، قبور ولهاث، ريح ناعسة وسماء رخامية لا تنسى غيومها، صنو الموت والضوء.

هو الأب، دليل الموتى،
وأنا ابنته وارثة الدرب،
أحفر وأزيح الحجر،
ألعب بما يصادفني من العظام،
أصطاد الطيور بالفخ الذي صنعه لي.

كثيراً ما أشعر بتلك الحسرة التي تعصر شوائكه، وتكون حيرتي كبيرة في أن أكون سبب صمته الدائم ماذا يمكن أن يتبقى لنا غير وجهه الذي يشبه أبو قردان، عينان دائريتان صغيرتان وفك بارز يزداد مع امتداد الأنف الطويل، هذا الوجه الذي كنت أعتقد دائماً بأنه يخفي خلفه وجهاً آخر لطالما تمنيت أن أراه ، الوجه الذي يقدر أن يرفعنا إلى أماكن أعلى تبعدنا عن هذا العمل اليومي الذي

أخاف كثيراً أن يلازمني مثلما لازم أبي ويلازم أمي منذ أن تزوجا.

لم أسأله لمن سيكون هذا القبر، إذ هو نفسه لا يعرف أحياناً هوية الجسد الذي سيوارى هنا. ولم تكن أسئلة مثل هذه تثيرني كثيراً. تناولت المحفار وبدأت بإزاحة التراب فغمرتني فجأة رغبة ملحة بمعرفة هوية الميت الجديد فرفعت رأسي وسألته:

- هل هو صغير يا أبي؟

- إنه صغير الجثة فقط. أنت لا تعرفينه. لقد صادف وأن قابلته عدة مرات في المسلخ، يسمونه سلمان الوحش، مع أنه ليس وحشاً، كنت أراه وهو يمسك خروفاً بيد وينحره باليد الأخرى. كان كثير المراهنات، وكثير الربح، الله يرحمه، راهن ذات مرة التاجر منصور بذبح وسلخ خروف ضخم جيء به من خارج البلاد، في المرفإ استطاع الخروف الهرب فتبعه سلمان في كل أزقة المحرق حتى قبض عليه ونحره أمام عيون المارة.

- وكيف مات؟

- المرض يا سارة هو القادر على ذبح أقوى الرجال، يضرب القلب فيعجز الجسد عن مقاومته.

- وماذا أصابه؟

– احفري.. لقد جُـذِم الرجل يا سارة، بدأ بكتفه فتجاهله، انتشر في أطرافه ثم أكل جسمه كله. جاءت له سيارة المستشفى الأمريكي، أخذوه عندهم وحجروا عليه كي لا يُعدي الآخرين. زوجته التي تذهب إليه قالت بأنها كانت تسمع صوته وهي خارج أسوار المستشفى، لم يدعوها إلى زيارته، كان يواصل صراخه الذي يشبه العويل، يحاول استدراج الحياة، لكنها خانته فمات. يتقاسمه الألم والذعر. سوف تأتي به سيارة المستشفى وتلقيه في الحفرة خوفاً من العدوى.

الشمس تنهب من التراب رائحة العرق الغزير الذي يتساقط من جبهة أبي، ونحن جالسين ننظر بدهشة إلى عمال المستشفى الأمريكي وهم يدفنون الرجل الذي انتهينا من إعداد قبره. حين أنهوا مهمتهم السريعة ألقوا التحية على أبي وأسرعوا إلى سيارتهم وغادروا الموقع فحملنا معاولنا وأغراضنا وسرنا عائدين إلى البيت.

في طريق عودتنا لم نتبادل الحديث. كنت أشعر برأسي خفيفاً يتحرك في كل الاتجاهات. يتحرك مع أنفاسي المتعبة التي لا أستطيع أن أمسك بها إلا حين أتكىء بثقلي على المعول وأزفر بعضاً من تعبي يطالعني أبي دون أن يقول شيئاً سوى أن يدندن بأغنية على غير عادته، لم يكن مهموماً أو مخنوقاً من رائحة المقبرة، كان

منتشياً على غير عادته. أمشي خلفه وأعد خطواته السريعة. أعد وأحصي كم من الوقت يجب أن يقضيه هذا الرجل في دفن هذا العدد الهائل من البشر القاطنين في المحرق. أهي خطيئته أم خطيئة جدي الخال الذي ألقى بنا بين تراب أصفر وغبرة الموت التي تحاصرنا كل نهار. كل نهار.

دخلنا البيت، كانت أمي تهم بالخروج من الحمام مبللة، تحمل أختي مريم التي بلغت الرابعة من عمرها. ألقيت بالمعول عند مدخل البيت، حيث وضع أبي بقية العدة. اتجهت نحو غرفتي وأنا أحمل شعوراً بالنجاسة بسبب التراب العالق بجسدي. من غرفة أبي كان الراديو يذيع أغنية تقول كلماتها:

شربت ... من مبسم حبيبي
يلوموني ولا يدروني ما بي
والله أنا ما سويت منكر***

الهوامش

* أم سليمان نوع من أنواع السحالي.
** مطرح: مدينة ساحلية في عُمان.
*** أغنية شعبية للفنان البحريني يوسف فوني.

* * *

خيرية إبراهيم السقاف

من مواليد ١٩٥١ (السعودية) أصدرت أن تبحر نحو الأبعاد (١٩٨٢).

تلك التي

أتذكرحين حطَّ طائر النَّورس فوق طرف الشاطىء، وأخذ يَعْبَثُ بمنقاره فوق جدار القارب الرابض على طرف قصيٍّ:...

وشيءٌ من الأمواج يصطفقُ بشدةٍ فوق أطرافه الغارقة كأنَّما يودُّ أن يستنزف سراً يهمي له به.

ذلك الغروب، الشمسُ كانت تتقد وهي تغادر، لم تبرد أشعتها، فقد ألهبت رمل الشاطىء، وأنت كنت تقفز من لَسْعِ الحرارة..، وتقول إنك تقلِّدُ طائر النورس..

أما هو

فلا أدري لماذا قفز لمحةً واستقر فوق مجداف القارب..

أكدت لي أنه أيضاً شعُرَ بلسع الرمل المتقد.. لكن الرمل الذي يطأهُ كان مخلوطاً بالماء!!...

فكيف يكونُ؟!!..

أتذكرُ حين غابت الشمسُ...

ونسمةٌ طريةٌ هبَّت قادمةً من جوفِ البحرِ...

تحرَّكَ النورسُ اليتيمُ.. بعد أن صفّقَ بجناحيه.. غادرَ... لا أدري لماذا شممتُ لحظتها رائحةً ندية جاءتني مع حركة جناحيه.. اقتربتُ معك من القارب.. بعد أن تركت مظروفاً كنتَ قد فضضته وأنت تجلسُ إلى الشاي ولحقت بي...

اقتربتَ معك من القارب أكثر...

كان في جوفه صمتٌ مطبقٌ...، ووحشةٌ حزينةٌ لم أكنْ في كلِّ مرة تأتي بي إلى هنا قادرةً على تفسيرها...

و... شعرتُ في هذه المرة بشيء يخنُقُني...، لم أكنْ أعرف مصدره ولا أعلمه... كما لم أكن قادرةً على استكناه حافزه...

تلك اللحظة طوقت خاصرتي بيدك.. وجذبتني

بعيداً عن المكان.. هرولت بي إلى العربة.. ودفعتني إلى داخلها... جلست خلف مقودها.. وانطلقت، حسبتك تأخذني في فسحة إلى الشاطىء.. لكنك اتجهت إلى المدينة...

نسيتَ أننا تركنا فوق الشاطىء أشياءنا: السجادة، الكاميرا، الشاي، عباءتي، ومظروفك الذي فضضت... وكذلك أصدقاءنا...

يا سيدي توقف... لكنك مضيت دونما كلمة...

وحين مررت بي تُسرع في شوارع المدينة صامتاً..، شارداً..، خُيِّل إليَّ أن شيئاً من الإلهام قد خيَّم عليك..، وهو حين يحاصرك تتمخض عن لوحة جميلة للشاطىء ككلِّ مرة نزوره فيها....، نشاهد النورس والأمواج والرمال والقارب..

دخلتَ المنزل في هيبة صمتك...

أسرعتُ أعد لك ركن الرسم، لكنك لم تقصده... برهات...

جاء جارنا بأشيائنا...

لم تفتح له... كنت مستلقياً على الأريكة ظننتك لم تسمعه...

أخذت منه الأشياء: السجادة، الشاي، الكاميرا،

عبـاءتي،... وباهتمـام كـان ينـــاولني مظروفـك المفتـوح، وخارجـاً عنـه كمـا تركتـه لوحـة صغيرة موقعـة باسـمك، كانت صورة للقارب ذاته علـى الشـاطىء، وعلـى مجدافـه رسمت النورس يطُلُّ من خـلال البحـر وجـهٌ.. وقـد كتبت بجـواره مذيـلاً بخطـك هـذه العبـارة: (تلـك التـي مضـت فصمتَ القارب عن الإبحار، وتوحَّد النورسُ)...

عشر سنوات أزور فيها معك الشاطىء...

لم أستطع أن أفض سـرَّ الغمـوض الـذي أحـسُّ... لحظتها أدركت كل شيء...

أعدت شريط الزمن...

مـررت علـى حجـرات مـنزلي وردهاتـه واحـدة واحدة... وفيما أنت مستلقٍ...

كنت أنظر إلى جدرانها.. وجدتك قد زينتها بصور القارب...، والنورس...، ووجهِ التي.

* * *

فـــــالح الصـــغير

(السعودية)، أصدر مجموعته القصصية الأولى المرفوض (١٩٩٧).

بكاء..

(أ)

"كـانت ليلـة فـرح بكائيـة حينمـا تزوجـت أختهم الصغـيرة جميلة"

بكوا جميعاً إلا والدهم الذي لا يبكي إلا متأخراً.

لـم يصدقـوا الخـبر عندمـا أبلغهـم والدهـم بـأن أختهـم ستتزوج..

صحيح جميلة ستتزوج؟

– نعم.

إنها صغيرة.

- وزوجها صغير أيضاً.
لكنه يكبرها سناً.
ضحكوا عند سماعهم الخبر.
لم يخطر ببالهم أنهم سيبكون ليلة الزواج.
لم تتكلم طوال تلك الليلة.
قالت لأخيها الأكبر في اليوم التالي:
- لم أنس حضورك.
تساءلوا:
- هل بكوا لأن إخوانها خاصة الصغير يعتبرونها رقماً هامشياً؟
كانوا يقولون إنها لا تفهم.. وحقيقة أنها تفهم وتتحدث بوضوح أو بالأحرى بصراحة وهم لا يحبون الصراحة.
الكثير يكرهون الصراحة..
أدركوا جيداً أن ذهابها من المنزل خسارة لا تعوض، لأنها تحدد الخطأ بسرعة.. ومع ذلك يخفون الحقيقة ويسمونها "الملقوفة".
بكوا كثيراً لأن شقيقها الذي يضربها ويشتمها باستمرار دخل فجأة وطبع قبلة عميقة على رأسها.. ماذا حدث؟!
- سلمان ودع جميلة بقبلة على رأسها..
لا.. مستحيل..

- كان يفضل الموت على رؤيتها.

العالم يتغير.. دول سقطت.. زعماء اختفوا.. ارتفع عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

ارتفع صوت صغيرتهم المحبوبة:

الولد مع البنات.. "بطته" شوكة ومات..

صرخت إحداهن:

ها.. مات سلمان؟..

(ب)

جاءت في موعد الزيارة المحدد.. احتفلوا بها احتفالاً اختلط فيه البكاء بالضحك.. أختهم الصغيرة كبرت.. لا.. لم تكبر.. قالت أمهم:

إن أختكم مازالت صغيرة..

- يحترمون المرأة عندما تتزوج..

نطق بها شقيقهم الذي يعمل بعيداً عن مدينتهم.. دس في فمه منديلاً كعادته.. والرجل يحترم حينما يتزوج.

رد عليه شقيقه الآخر: الخطأ حينما يكبر الشخص ولا يتزوج.

خافوا أن تحتدم المعركة وتتحول إلى نقاش ساخن.. دار بخاطره ذلك النقاش الدائر عبر الصحف عن غلاء المهور.

منذ عرف القراءة والكتابة وهو يقرأ القضية نفسها.
هل وجدوا حلاً لها؟
مازال النقاش مستمراً.

(ج)

يتذكر أن أخته التي تزوجت كان قد ذهب بأمها إلى المستشفى الخاص بسرعة حينما فاجأها الطلق.. كاد أن يفقد مع السرعة حياته.

وبين الحياة والموت وضعتها أمها.

كانت تنتظر ولداً وإذا بها بنتاً.

تنهدت الأم:

لو كانت ولداً.

- الخير فيما اختاره الله.

الولد سند.

- والبنت.

نربيها.. ونتعب في تربيتها.. والثمرة لغيرنا.

- ماذا نسميها؟

شكلها جميل.

- نسميها "جميلة".

لمحت وجهها في المرآة.. وبكت.. لم يكن البكاء عادياً.

* * *

منيـــــرة الفاضــــــل

(البحريـــن)، صـــدر لهـــا مجموعـــة الريمـــورا (١٩٨٣).

إيهاب

لن يتأتى للغريب الواقف قبالـة الانحسـار المكـاني هذا، حصر النزاعات التي انكفأت فـي ثنايـا أجسـادنا. فهـا باحتنا الصغيرة المتداعية تتسمّر ملطخة بسيل مـن اليـأس، على حين تُوشم لطخات الـدم وعـورة الجـدران، والوسـائد المخملية المتناثرة كفصل خريفي في ريبـة الذهـاب. هـاهم في عراكهم، وعويلهم، وصراخهم اليومي، أقاربنا الأقـرب إلينا من الوريد. يكاد الغريب أن يسقط في سـهو إدعـاءات التسجيل والتفسير والمؤاثـرة، فـي الوقـت الـذي تتبـدى لـه شهوة السفك وتلاطم الأذرع، واحتكاك الأجسـاد المدفوعـة بغلوّ الغضب هذا. هو المائل صوب سـاحتنا تدفعـه شكاية

القلب أن يرفل بنحوله مهادناً الصراخ المتحشرج في الوجوه المتشنجة أمامه، غير عارف، غير مبال، يغضّ الطرف ويأمل، متناسياً الالتباسات المتوقدة في الصحو كل صباح، حين يهمُّ ويتهالك جسده في وطأة أثيرية هي استكانة اللحظة لصورة الموت المتبدي أمامه. لهذا يقف على مبعدة ويرنو باحثاً عن صورتها في صوتها المتعالي، المختنق هوجاً، معتقداً بأن هدوءه المتجاسر سوف يلقي بظله صوبها، وقد تُدير إيهاب حينها في مباغتة انحسار الضوء وجهها نحوه. ولن يتأتى للغريب ذي العين الضبابية أن يحتكم إلى غوايتها، هي المغويّة بشرك التسلط المعقود بتؤدة خيوطه الداكنة المستباح لسنين تتبدى وتنطوي وتتهالك في شيخوخة يترنم بها الوقت أن تلتفت إلى مرآتها لتطلق التنهيدة إياها، يتبعها زفيرها الذي تبعث به ما يتلون ويدبّ أو يختال هائجاً في العراك الذي تُصيغه وتلعق به الكلام الكاشف عن بأس ويأس يتمارى في استنساخ الذات تحكم عليها الغلالة.

سيتوجب على الوجه المستكين في الانحسار المكاني هذا أن يأنس لمكاشفات الروح حتى يعي الهدأة المتأصلة بعد كل نزاع في ساحتنا البهية، وهشاشة عارفيها الموغلين في شطط النسيان وانغماسهم بعد ذلك في دسائس الخديعة وارتياب الصمت والضجيج ولحظات

الهدنة، لا منقذ لهم إلا سوْرة القلق هـذا وهـم ينكفئـون فـي خبيئـة تصـورات ختمـوا عليهـا بـأجهزة تـترصد الحميـم والبريء من لهفة تتـألف مـع مـا يتمثلهـا مـن لهفـة أخـرى توصد الغياب وتدرج فـي تبعاتهـا الذهـاب المسترسـل فـي عذوبة الجسـد والـترنح الثمـل فـي مـا يستنفره مـن أدوات الروح.

يرتمـون فـي الثقـل وفـي مقايضـات ترتـد وتزهـو متباهيـة بازدواجيتهـا، ترجـو فـي منطـق يتخـاطب ويلـوك الجمل العاتية، تلك التـي غُرسـت أشـلاؤُها حـول أكتـافهم، وتركتهـم فـي انحنـائهم هـذا. كلمـا حـاكوا لهـا الأشـراك باشـرتهم بمكائدهـا الداكنـة، هكـذا يـتربصون ببعضهـم البعض، أقاربنا المفتونون بهفوات القلب والجسـد. تتملكهم روح العصبية وهم يلمحون سخريتها الكامنـة وهـي تهجـع وسطهم في لحظات الهدأة الموقوتة على حيـن تُعـدّ الوقـت للرجل المنكفيء في مكان ما، يـزاوج الزمـن لهـا ولنسـائه الأخريات. غير مبالية بـالجرح الغـائر فـي أرواحهـم وهـم يشهدون فتاتهم الصغيرة، كمـا تخيلوهـا دائمـاً، تكتـظّ بـه، وتشـفع لـه أنانيتـه المفرطـة. يبكـي أحدهـم حيـن تتجاسـر مخيلتـه وتـتراءى لـه إيهـاب الفاتنـة مكللـة بفعـل الحـب، منغمسة في سطوة التأوه والإقدام، موشـومة بمائهمـا معـاً، فيضـرب رأسـه فـي احتمـال التحـرر ممـا يتبـدى لـه، ثـم

ينغمس في أسر الملذات، راجياً النسيان. على حين تستفحل بشخص آخر منهم حمى المراقبة، فيسقط في ذريعة الأسلاك وتشابك الخطوط في اندماج الأصوات ولهفتها، في مجون التأني وحبائله الفادحة، كلما ازداد غضبه أربكته مخارج الحروف التي يستنسخها في الأشرطة التي يفرد لها مكاناً تزداد سعته وينتشر فاتكاً بما حوله من مستلزمات يحيط بها الإنسان نفسه.

- ليست بي حاجة لهذا.

يقول وهو يصادر ويرمي الاحتياجات التي أنفق ما أنفق عليها.

- ولا لهذا.

يفتن الآخرين بكرمه، على حين تكتظّ الغرفة وتحبل وتنتفخ مداهمة بسيل الأشرطة التي تتمطى وتتأوه وتكابر وتنتابها نفحة الفخر لكل هذا التسلط الذي يصبغه وجودها العاتي. تدخله في التصوف فيعتكف في غنج صوت إيهاب العابق بتهدج الابتهال. يترك حياته تتسرب في صمت بين حرف وآخر، ينأى في غرفته الصغيرة المطبوعة بالوجود الساحر للمرأة التي سقط فريسة لها وسط تآمره الذي أعمته غيرة العائلة ووهم الرجولة المكابر، ينسى نزواته ورغباته التي طالما وجهت الأصابع

نحوه، ليطفو في أحلامها المستترة في نسيج من الحكايات ترددها بشغف المدمن ويتجرعها هو نقطة وفاصلة، يضمّها ويفتح بها التراكيب التي تستعصي عليه ويفوت عليه في خضم كل هذا - الدور المنسل رجراجاً من ذاكرته، ولا يعود يفقه معنى غير هذا الذي هو فيه، فيصادق الغريب المغوي بغوايتها، يقضيان الساعات الطوال متأرجحين في حديث عنها، يحتسيان الشاي المنعنع على قهاوي متناثرة، يلفون تبغهم وينفثون دخانهم في السماء، يبحثون عن موطئ يكون دليلهم إليها، يتبادلون سرد المغامرات الساذجة منها والداهية، في خيلاء ذكورية لا نملك إلا هز الرأس حيالها. يعبثون بثقة بعضهم البعض، فيتكاثرون في مكانهم ذاك، وجوهاً تنسخ بعضها وتقبع في سكينة المساء مكتنزة بسيماء المكان الذي هندس لأعضائهم المترامية أمامهم في كسل فاضح.

يركن الغريب للعبة الاحتفاء هذه فتشوبه الغبطة، وتستسلم وساوسه الصغيرة لمشاورات أقاربهم، يضنيهم الحبك المحاك حولها، فيأمل وهم يرمون بمفرداتهم نحوه، يرسمون له الخطط لمحاكاتها، فيقتبسها متلوناً بالجرأة، يسائلها هو الآخر عن ذهابها وانشغالاتها السرية، عن أحاديثها المكتومة، عن صفته التي لم تتحقق بعد كزوج يعقد انتماءه المستقبلي في العادي من أشياء الحاضر

لينبهها إليه. إيهاب المطواعة للعديد من غيره، الأبعد عن أن تكون لنحوله الضامر الذي تشير إليه بشيء من السخرية، هي المفتونة بالعضلات المفتولة لجمع يحيطها يهبها وتهبه عنف الحركة واستيطانها الأخذ اللدن لجسدها العامر بنزوع يشرئبّ ويلامس ويضغط وينعقد، تاركاً شهوة الروح في محيطها تستأثر بالصوت المنداح في رتم يتعالى بظل المُكان مسكوناً بذبذباته الأثيرية.

نُطلّ عليها في إبحارها الجشع هذا، ونعاتبها قليلاً، أنثانا المغمورة بأريج الليلك.

– وماذا بعد؟ يا إيهابنا، يا تاج العرس المؤجل، يا نسمة الضياع. إلى ما سنتأبط رعونتك الفتية، نداري ونستتر، حتى لا يلحظ أحدهم ذهولنا وذعرنا المفرط فيك؟. لكنها تتزين بانتصاراتها، غير معنية بالاحتضار القابع على مبعدة، تبهرج كيانها بالعطر النفاذ وتصوغ مشاهد لجذل يذرع أقحواني بشرتها، تدحرج الخلاخيل مع رنين خطواتها في المسالك الناصعة الظلمة. تبتهج إيهاب تبتهج وهي تبعثر نتف الحكايا على النواصي لمتتبعيها، الملتهون بها، المتنازعون حولها، الضامرون وطأة الحيرة، أقاربها الفارون إليها من شراكهم فيها.

* * *

حسن رشيد

من مواليد ١٩٤٩ (قطر). كتب المسرحية والقصة. أصدر مجموعة الموتى لا يرتادون القبور ( ). المجموعة الثانية تحت الطبع.

قصص قصيرة جداً

١ - الخال عيسى

نفس الركن.. نفس المكان.. نفس السكون.. ونفس النظرات ثم الإندماج الكلي.. والتغيب اللاإرادي عن كل شيء.. من يراه يعتقد أنه يعيش حالة عشق أزلية.. أو كصوفي يعيش حالة الوجد.. الزمن ترك خيوطه على الوجه.. والحياة شقت رسومها.. الخد.. نهر جف ماؤه.. ومع هذا تتلاحق الأنفاس.. ولا شيء يشد الانتباه.. صوت المحب يأخذه إلى البعيد البعيد.. هل يعيش الزمن.. أم أن الزمن نوع من العبث.. هل انتهى.. وتوقف معه.. ومع

هذا فهو لا يتحدث مع أحد سوى صديق العمر.. الصامت الأزلي.. كيف ارتبط بهذا الفخار.. والبوص.. والجمر.. ورشفات من الشاي الأحمر ماذا بقي له من التاريخ، هل التاريخ يحرم الإنسان من الذكرى؟

٢ - الخلاص

من يستطيع أن يمارس الدور حتى النهاية؟ كان يعتقد أن بمقدوره أن يفعل.. واستسلم.. كقائد يرفع العلم الأبيض علامة الإستسلام والهزيمة.. ولكنها كانت الأقوى.. لأنها تركت بصمة.. لا يهم كيف تركت في حياته البصمات. ولكنه حتى الآن.. يبحث عن الخلاص.. فهل يستطيع من لا يملك القرار.. القدرة على الخلاص.

٣ - الزار

لا إرادياً تحرك.. ولج من الباب.. كيف وافق؟ ولماذا وافق؟ أما الآخرون فقد جلسوا في الانتظار.. طال الانتظار.. أحسّ البعض بضيق شديد.. وأخيراً خرج من الباب.. بخروجه تنفس الآخرون الصعداء أما هو فقد ازداد كآبة.. ولكن كيف اندفع وراء هذا الأمر.. لماذا لم يرفض.. أسئلة مازالت تبحث عن إجابة.. أما هو فقد تحول إلى حكاية.. تروى في الأمسيات.

٤ - الكومبارس

واقعياً لا عمل له.. انتهى دوره في الحياة.. شبح من الماضي يتحرك.. تعدى مرحلة الشيخوخة بسنوات.. بقايا إنسان يتحرك.. يأكل.. ينام.. كيف يتحرك.. كيف وماذا يأكل.. متى ينام.. أسئلة بلا إجابات لكنه مازال مصراً على العطاء.. أما الآخرون فلا يجدون مفراً سوى الاستسلام.. خاصمته الحياة.. فلا أسرة.. ولا أولاد ولا حياة. ومع هذا فهو يمارس حرصه على كل شيء.. ويعتبر نفسه أنه الوصي على كل شيء.. فقد نعمة البصر.. وفقد بعوامل السن والشيخوخة.. الصحة.. ومع هذا فهو مصر على أداء دوره.. إنه أشبه بممثل لفظته الخشبة.. ومازال يتشبث بدوره في الحياة.. إنه صورة من صورة الكومبارس.. في مسرحية الحياة.. ولكن متى يعي؟ متى يدرك؟ الصعوبة هنا في اتخاذ القرار.. كيف يخرج من إهاب الدور الذي أتقنه وأجاده.. وظل يمارسه منذ الطفولة إلى الكهولة.. هل الموت يضع حداً للحياة؟ لماذا يهرب الموت من البعض؟ الواقع أنه الميت الحي.

٥ - جنتلمان

أعطى.. ومنح.. لم يكن يعرف حدود العطاء..

وأمام قدميه ارتمى البعض.. أما هو فقد مارس دوره في الحياة كفارس نبيل يعي جيداً متطلبات السيادة.. الآخرون وجدوا بغيتهم.. في هذا الشموخ البشري.. ارتفع.. نافقوا.. ارتفع.. انحنوا.. ارتفع لعقوا الأحذية.. كان يعتقد وما أكثر ما اعتقد ويعتقد البعض أنهم يملكون وفاء الكلاب.. فجأة.. اكتشف بعد فوات الأوان أن بعض الحيوانات أكثر وفاء.. وأنهم مضرب الأمثال.. أما هؤلاء فقد وجدوا أن السيد لم يعد سيداً.. بحثوا عن سيد آخر.. وجدوا سيداً آخر.. يلعقون صباح مساء حذاءه.. وفجأة صغروا.. صغروا كثيراً.. بينما مازال هو كبيراً. هل يعي الدرس؟ من الصعوبة أن يتحول السيد إلى خادم.. حتى لو تحول الخادم إلى سيد ذات يوم!

٦ – المجنون

منذ الصباح الباكر.. يتعطر.. ويلبس ثياباً نظيفة.. وينطلق.. إلى أين؟ لا أحد يدري.. وعندما يهزمه الإرهاق.. يرمي بجسده المكدود.. بالفراغ فوق أقرب كرسي.. في أي مقهى.. يرتشف الشاي.. ويواصل التحرك من جديد.. إلى أين؟ لا أحد يدري.. لا نحن رفقاء الدرب ولا الآخرون.. كنا نتسلى به.. في الأمسيات..

تجاوزاً كنا نطلق عليه عبود الأطرش.. وكان يفتخر بهذا اللقب.. ويشنف آذاننا بأغاني فريد الأطرش.. ويتجلى كثيراً وهو يؤدي.. "وحداني هيعيش كده وحداني" يكررها مثنى وثلاثاً.. كان عبود الأطرش أكبر منا بسنوات.. طرد من المدرسة.. نظراً لتعدد سنوات رسوبه.. وهكذا أصبح أسير الشوارع.. كان عالمه الخاص نحن في الأمسيات.. والشارع، طيلة النهار.. كان يجد فينا السلوى ونجد فيه عرضاً مشوقاً.. كنا نتحلق في الأمسيات وهو يرفع عقيرته بالغناء.. مع هذا فقد كان صوته مقارنة بأصوات البعض جميلاً ومعبراً.. وكان مقلداً جيداً.. وعندما يشبع من تشنيف آذاننا بصوته يهب فجأة واقفاً.. ولا يبالي بتوسلاتنا.. كان يتحرك ويذهب.. إلى أين! لا أحد يدري.. كان يعيش عالمه الخاص.. الصمت والتجوال نهاراً.. والغناء ليلاً.. وانتشرت إشاعات كثيرة.. بعضهم ادعى أن به مساً من الجنون.. بعضهم ادعى أنه مبروك.. البعض الآخر أكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه عاشق.. وحلل البعض هذه الإشاعات وخاصة اهتمامه بأناقته المفرطة.. بأن هذا دليل قاطع على مرحلة الوجد والصبابة التي يعيشها.

ومع هذا فقد كان يبدو في بعض الأحيان أنه

إنسان سوي.. كم كان فرحنا كبيراً عندما علمنا أنه قد طرد من العمل.. نسيت أن أقول.. إنه لم يكمل سوى أربعة أسابيع في العمل. أخيراً كسبنا مطربنا المبجل مرة أخرى.. خلال الأسابيع الأربعة.. ظهر مطرب آخر.. وشنف آذاننا بأغاني عبدالحليم حافظ.. وانفض السامر من حول عبود الأطرش.. تحوّل عبود الأطرش إلى شخص آخر.. عدواني الميول.. هل كان في أداء أغاني فريد الأطرش يجد ذاته وكينونته؟ ذات مساء.. حدث هرج ومرج في الحيّ.. كان عبود الأطرش شبه عريان.. يطلق ساقيه للريح.. ينطلق خلفه والده.. أما والدته فهي ترسل توسلاتها.. ولا نسمع منها سوى كلمات "خله.. مجنون خله.. مجنون" مجنون! أصبنا بالخوف والهلع.. ماذا جرى له.. لا أحد يدري.. فيما بعد.. عرفنا أن عبود الأطرش في مستشفى المجانين.. هل كان مجنوناً حقاً.. أم هناك سر لا نعرفه حتى الآن؟.

* * *

قماشة عبدالله السيف

(السعودية)، أصدرت مجموعة محادثة برية شمال شرق الوطن (١٩٩٢). تعد لإصدار مجموعتها الثانية.

العقد والنافذة

الجوُ يميلُ إلى البرودة في هذا الوقت من الليل.. سمعتْ صوت الريح فشعرتْ بانقباض خفيف.. حاولت أن تستعجل يدها في التصحيح... إلى أن وقعت على كل دفتر ووضعت التاريخ ودونت عبارات التشجيع المناسبة.. ثم وضعت مجموعة الكراسات جانباً.. وألقت فوقها بالقلم الأحمر.. وشرعت تتصفح صحفاً متفرقة.. بعضها صاخبة وبعضها هادئة، بعضها متنافرة وبعضها مبالغة، بعضها تحملُ تلك العبارات المستهلكة، بعضها تمتلىء بأسماء كتاب وكاتبات متعاطفون أو متنافرون. ثم تصفحت مجلة ووضعت بالقلم الأحمر علامة على مقالة واحدة، بها

شعرت بأهمية قراءتها في وقت لاحق.. وهي تلمس العقد اللؤلؤي الثمين الملتف حول جيدها السامق منذ حضورها حفلة الليلة الماضية، تنهدت قائلة: "إني أحب عملي ولكنه عمل لا يقبل التأجيل لذا أضطر أن آخذ بعضاً منه لأنجزه في المنزل.. غداً السبت! إنني أهنىء نفسي أن أنجزت كل هذا العمل..".

وأغمضت عينيها تستحضر النوم وبعد خمس ساعات كانت تستوي جالسة وعينها على عقربين هاربين ملتفين على معصمها.. تؤدي فريضة الصبح، تشرب على عجل نصف كوب الحليب وتقف أمام المرآة دقائق.. ثم تمضي..

* * * *

عندما قرع جرس الحصة الثانية كانت تحمل "أدواتها" وتتوجه عبر الممر الطويل إلى الفصل. نسمة باردة تداعب أطراف سترتها الطويلة المتكسرة.. تسمع الصغيرات وقع حذائها إذ تقترب.. يفزعن برغم شغفهن بها.. دائماً يزعجها فزعهن.. ينكفئن إلى أدراجهن، إلى حقائبهن الثقيلة يخرجن القلم والكتاب والكراسة.. يسندن ظهورهن الغضة على مقاعد الخشب، تضع "أدواتها" وتشعل الإضاءة.. يفترش النور أحداقها.. تثير غبار الطلع

باستثارة أذهانهن بطرح الأسئلة التمهيدية.. صوتها يعلو وينخفض بانسيابية محددة والألفاظ تتلون به.. تشعر كما لو كانت تسمعه للمرة الأولى، تبرر في نفسها: "إني لا أستخدم صوتي إلا هنا مع صغيراتي" وراحت تتحدث إليهن متبعة مساراً معيناً محفوظاً في حديثها كشأن المعلمات.. تعرض عليهن بطاقات كلمات ومصورات معبرة عنها.. تلقنهن المفردات، كيفية قراءتها وكتابتها.. يتطلعن إليها.. يحتضن كتبهن الكبيرة فتشرد منهن الذاكرة في التباساتها التفصيلية.. المفردات في مضمونها تحث على الصدق وهي التي تشفق عليهن أن يصيبهن ما أصاب كثيراً من الكبار من استمراء الكذب تحاول أن تشرح: "الكذب داء.. حالة مرضية منذرة بعواقب.. الصدق أشرف وأجمل وأجدى.. الكذب يواري الحقيقة يغلف الدنيا بضباب من الوهم والخداع.. من يكذب يخدع نفسه قبل الآخرين" يجف حلقها كصبار بري من ترديد العبارات وهي مزروعة أمامهن وهن مسمرات في مقاعدهن لكن الدقائق الأخيرة من الوقت المحدد تجعلها تدون لهن الواجب اليومي على السبورة ليدوّنه في مذكرات الواجبات.

* * * *

تتبدد الدقائق الخمس بعد قرع الجرس يخرجن كراسات الرسم وعلب الألوان.. تدون بالطباشير الأبيض على اللوح الأسود عبارة: (ارسمي مجموعة أشجار) تستغرق في طرح الأسئلة ثم تتوه أن الأشجار تعني الظل والجمال والخشب والثمار والندى واللون الأخضر.. وأنها قد تميل بفعل الريح وقد تخلع أوراقها وقد تتكسر أحياناً.. وأنها تموت واقفة.. تؤكد لهن أن الأشياء الصلبة تموت واقفة.. ثم تتحدث عن الخطوط الأولية لرسم الجذوع والفروع والأوراق.. عن توزيع الألوان.. تستعين بالسبورة تحاول أن تقلص المساحات الرمادية والمساحات الشاحبة.. تستخدم اللون الأخضر والأخضر المائل للزرقة تفتح لهن نافذة للتعبير من خلال الرسم.. يخططن بحركات قصيرة سريعة.. تضع على حافة السبورة لوحة كانت قد وضعت عليها اللمسات الأخيرة.. يرسمن أشياء عذبة صغيرة كأنها الأماني.. تلميذة نجيبة ترسم كروماً ونخلاً وأشجار تفاح وأثل وبئراً ارتوازية وأخرى تحيل الصفحة إلى غابة من أشجار التوت.. تتجول بينهن تساعدهن في اختيار اللون المناسب.. شيء بارد يصطدم بظاهر كفها.. فجأة تشعر بأن عقدها لم يعد ملتفاً حول عنقها.. تضع يدها مكانه.. ترتعش أصابعها وهي تفتح حقيبتها برشاقة

عجيبة.. لم تجد بها غير كتيب صغير وزجاجة عطر صغيرة.. ترفع كراسات التحضير والدرجات.. ترفع علبة مناديل الورق.. تتجول ببصرها في أرضية الفصل.. الصغيرات يكملن رسمهن.. تتشبث بخصلة من شعرها تفكر: "يا إلهي أين هو؟". "كيف سقط مني؟ وأين؟ ومتى؟ تطفو في رغوة شعور مقيت بالفقد.. تفتح النافذة.. تجلس إلى الكرسي تلتقط أنفاسها.. تشير إليهن أن يتممن رسمهنّ.. تستجدي الذاكرة.. أين ومتى وكيف؟ هل وضعته في مكان وذهب المكان في طي النسيان..؟ يغمرها نوع من الإستياء الضاغط.. يتحلق عدد من التلميذات حولها إحداهن تسأل: معلمتي أنا أحبك هل أنت مريضة؟ تتلاحق أسئلة الأخريات: أتحتاجين مساعدة؟ أتبحثين عن شيء؟ أتريدين قلماً تكتبين به..؟.

"لا.. لا" تؤكد عليهن بالتزام الهدوء في أماكنهن يجمعن دفاتر الرسم.. يضعنها أمامها.. يلملمن علب الألوان ريثما يقرع الجرس.. تستدعي الذكرى.. أين ومتى وكيف ابتعته؟.. تشرد بفكرها عن المكان، من الكويت.. وكنت برفقة أختي.. تبتعد الوقائع تطويها الأيام وتبقى كالأمواج الهادئة في الذهن. يراودها سؤال: "ما هو أسوأ ما يمكن أن يكون لو لم أعثر عليه..؟ هل سأعثر عليه؟

بعض الأشياء كالبصمة لصاحبها لا تقدر بثمن.. إنه يشبه الوثيقة.. يشبه الأشياء التي لا تباع ولا تستبدل ولكنها من الممكن أن تفقد كأن تكون لوحة أو كتاباً أو عقداً فريداً.. كانت بتساؤلاتها كما لو أنها تفسر حلماً.. وقرع الجرس.. لتتراكض الصغيرات إلى الساحة.. وتحمل هي كراسات الرسم والكراسات الخاصة بها وتهم بالخروج.. تلمح إحدى تلميذاتها تبحث في حقيبتها وبين دفاترها وتبكي.. ولعلها أضاعت شيئاً ما.. تقترب منها، تجد أنها فقدت الريالات التي تشتري بها من المقصف المدرسي تغمغم بقلق، لا أدري أنسيت الريالات في المنزل أم أضعتها بين الدفاتر".. تمسك بيدها وهي ضاحكة تأخذها إلى المقصف.. تشتري لها ما تريد.. تعود الصغيرة تمسح خديها بكفيها الصغيرين من بلل الدمع وتجلس في جانب من الساحة.. تلمح شيئاً له بريق بجوار حذائها.. يغطيه التراب والحشائش.. تغمغم: "كأنه عقد معلمتنا" ترفعه من الأرض.. تنفض عنه التراب.. تضعه في حجرها وتكمل وجبة غذائها السريعة.

في حين كانت هي تحاول اغتيال شعورها بالفقد أو هي كعادتها تتصرف بالطريقة التي من الممكن أن تدفع بالأيام للتحرك بهدوء ونعومة.. تبحث عن ريقها.. تحس

بالظمأ.. تنعطف إلى البرّادة.. ثم إلى غرفة المعلمات.. تمسح عن مكتبها فلول التراب.. تعكس النافذة على مكتبها ضوء الشمس.. تفكر: "إن ما حدث لتلك التلميذة يشبه إلى حد كبير ما حدث لي مرة في أيام طفولتي.. يا إلهي.. إن ما حدث لي يبدو وكأنه حدث بالأمس"! تتوافد المعلمات الواحدة تلو الأخرى.. تضع العاملة إبريق الشاي.. زميلة تخمن: "لست على ما يرام" فتحكي لهن ما حدث.. يبدين اهتماماً مشتركاً.. يأخذها الحديث مع زميلاتها فجعل الاستياء يزايل وجهها شيئاً فشيئاً.. إنها تحب الحياة، والحياة عندها مقنّنة.. شيء من الصداقة.. شيء من الاسترخاء.. ساعات متواصلة من العمل.. لحظات من الألم المضيء.. وقت لتدوين الأفكار.. ثياب زاهية.. حلي ثمينة.. كتب جميلة.. كن يثرن الأسئلة بينما كانت التلميذة تقترب وتنقر على الباب.. ثم تدلف إلى الغرفة وجلة.. تدير عينيها في أرجائها.. تبتسم إذ تراها.. تقترب.. ومن وراء المكتب تمد يدها "معلمتي أهذا لك.. هناك وجدته".

تغمرها بهجة كثيفة فتقول بدهشة: أوه.. عظيم.. أنت! حمداً لله.. يقطعن حديثهن يسألنها "أين وجدته..؟" تلتفت.. تحاول أن توضح.. تشير بسبابتها جهة النافذة.. بين الحشائش الجافة.." ويأخذهن حديث عن اللؤلؤ الحر..

واللؤلؤ الصناعي إذ هكذا تجري الأحاديث في كل مرة بينهن سريعة ومقننة.. وأقرب إلى الصدق والاختصار أمّا مواضيعها فغالباً ما تفرضها اللحظة خلال الفسحة القصيرة أو خلال دقائق تغيير الحصص.. فكأن حواراً يبدأ.. ينقطع.. ثم يستأنف..

* * *

ناصر سالم الجاسم

من مواليد ١٩٦٥ (السعودية) كتب الرواية. صدرت له مجموعة النوم في الماء (١٩٩٨).

الملف السري لرصاصة

حقائب السفر في يدي.. الأرصفة تتحركُ تحت قدمي.. الشوارع عطشى.. الموانىء قفار.. طابور الجثث طويل.. أجمع دم الصرعى تذكاراً في منديل.. أسجل التاريخ على الأضرحة المكشوفة.. أذبلني النظر إلى الجماجم المتعفنة في الحدائق العارية.. أشعر بالدوار وخوف الحقائب من أصابع أغلظها الزناد وعيون ترصد الرؤوس وتصوب على القلوب.. أدخل رأسي في جدران فضت بكارتها.. أستنشق المجهول.. أكتشفُ أن الرصاص كالفاليوم يباع تحت الضوء وأن مدن الموت تشتهي مدناً أخرى والميتين يعانقون ميتين.. آمنت أنه لا مستحيل أن تحارب الذباب وصلتْ الضفادع والطيور.. أفتح الصنبور.. تمتلىء راحتاي دماً.. تتلطخ شفتاي قيئاً.. أتوضأ بالكريات النجسة والبلازما.. تصدأ الأنابيب.. يفشل السباكون

في إصلاح العقول.. الفواتير مدفوعة بعملة صعبة.. استيقظ البستاني من نومه.. فارق خندقه.. سقى الأشجار العارية ... في الصباح وشذبها ببندقيته في المساء.. تدربَ الرمي على جذوعها.. اتخذها مواقع للقنص.. احترقت الأشجار ولم يمت البستاني.

الإذاعات كثيرة.. المذيعون طزج.. ساعات البث رصاص.. يجوع الرضيع.. الأثداء مصلوبة ناشفة.. لا ثدي في المدينة.. هاجرتْ كلها مع العصافير.. أثداء الرجال بالمجان ولا طفل يريد.. مرض طفل.. منحه طبيب حقنة هواء والبندقية تتأرجح على صدره.. بِيعَ الطفل غرراً لثري عقيم. كسدتْ تجارة المواليد.. ازدهرتْ سرقة القمامة..

أفتح الملف.. يغريني بياض الورق بكتابة قصائد حب وأناشيد للأطفال، حاولتُ استدعاء لغة حب ومفردات أمل، عقمت ذاكرتي عن إنجاب معان نبيلة تشبه في جمالها عيون طفل يبتسم.. كتبتُ ألفاظاً مقززة.. لفظتُ على الورق كل ما حوى معجمي من شتائم وبذاءات.. شعرتُ بتزاحم وعودة مسبات ميتة في ذاكرتي إلى الحياة.. كنتُ أكتب بصوت متحمس مسموع.. وأطوي الصفحات بسرعة.. وأحس بالرصاصات تثقب الورق وتقبل علامات الاستفهام والتعجب.. وأتلفتُ ورائي.. أقوم من كرسي الكتابة وأتأكد من إحكامي غلق الباب.. أفتح النافذة وأمد رقبتي لأمسح سور المنزل ببصري المرتج.. أعود ولا ألقى الملف مكانه؛ أنظر تحت الطاولة لعله سقط فأجد قنبلة موقوتة تنتظرني.

* * *

عبدالرضا السجواني

(الإمارات العربية المتحدة)، صدر له زلة العذارى، ذلك الزمان.

أعماق دامية

ببطء متهاد، يرسل النهار ضياءه، مبدداً حلكة ظلام راحل، والقارب يترامى على صفحة المياه المزرقة، فتتدحرج الدنيا أمام عيني "راشد"، وهو يحاول جاهداً أن يستقرها قدر ما أمكن، حتى ينجز ما هو بصدده!

يذهب القارب به بعيداً إلى أعماق البحر في أنين لا يعرف التوقف من محركه. وبضعة "قراقير" صغيرة متساندة على ظهر القارب المتضعضع، ودخان أسود يخلفه المحرك لعلة في أحشائه. تنبعث من طيات حشرجة متواصلة خانقة بذلك بهاء صبح تنفس منذ قليل.

والشمس قد ابتدأت في بث حرارتها يسبقها

ضياؤها، الذي أزاح اللحاف عن وجهها، تباطأ، ثـم أوقـف من دوران المحرك، تناول "قرقوراً" بيديه الاثنيتن مخترقـة أصابعه العشرة فتحاته. ثم أنزله في البحر ماسكاً إياه مـن الحبـل المربـوط فـي قمتـه. إلـى أن اسـتقر علـى القـاع. والعلامة الحمراء تطفو على سطحه.

تابع سيره قليلاً، ومد يده إلى علامة حمراء أخرى طافية، يتلاعب بها الماء في خفة. قبضها، ثم سحب حبلاً ينتهـي "بقرقـور"، قـد رمـاه بـالأمس. وضعـه علـى ظهـر القارب، وبضع سمكات تتقافز فيه و"زريدي وشعم" وبضع أسـماك صغيرة، مـع سـراطين عـدة كبـيرة الحجـم، لهـا خشخشتها التي تجرح سكوناً لم يفتح عينيه بعـد. أفـرغ مـا "بالقرقور" من أسماك، ورمـى السـميكات الصغيرة للبحـر من جديد، ثم قام بعملية تنظيـف سـريعة، واضعـاً كميـة لا بأس بها من الخبز كطعم للأسماك، وأنزله إلى القـاع مـرة أخرى، ليتابع سيره في أناة.

وصفحـة المـاء تعكس هيأتـه.. تلاعبهـا الأمـواج كيفما بدا لها، فلا تعـرف كيـف تسـتقر! يرحـل خيالـه إلـى البعيد فتـتـراءى لـه هيأتـه، وكأنّهـا أبـوه بذاتـه. فقبـل زمـن مضـى وهـو طفـل صغـير، كـان يرافقـه فـي رحيلـه إلـى الصيـد، منهـك، يتصبـب العـرق منـه، يرتـدي إزاراً قديمـاً على ثوبه. حاسر الرأس. إذا ما اشتدت به حرارة الشـمس

طوى "غترته" على رأسه بإحكام، وهو يتشبث بـ "قراقيره" المليئة بالأسماك المتنوعة. يفرغها في قاع القارب ثم يرمي "القراقير" من جديد ويمضي متابعاً سيره بقاربه ذي المجدافين. و"بوراشد"، وهو لا يفتأ في عمله والقارب يمضي به، والخير وفير في تزايد.

(المكافأة آخذة في النفاد)!

أخذت تتداعى العبارات المدمية على أفق ذهنه، والبحر به يسير، تتلون على صفحته ألوان متداخلة. أثر زيوت متعانقة في تجانس قادمة من عمق غياهب غير نقية، تتلاعب صورته عليها تلاعب الزمان بحياته! (أنت.. أنت ما فعلت شيئاً. وما بدر عنك ما يعيب يوماً.. ولكن..)!

تدور بك دوامات البحر، وتقذفك أينما شاءت. كما الحياة تدور بمصيرك، يعلم الله أين ستتوقف بك؟

أفواه ستة غير أمك وزوجتك.. فماذا أنت فاعل؟ وبراثن الحياة تغرس في لب سعادتك بإصرار يثير غرابته! كيف ستعطيهم في حالك المتدهور. و"المنبق" الوحيد الذي يحوي كيلوات ثلاثة أو أربعة إن زادت كل يوم.

تراكمات من الشهور، والتعب والإنهاك تتزايد فيها، شاقا العرق مجاريه من جسده الواهن، وقرص

الشمس المتوهـج، يلهبـه بمشـاعره، وهـو فـي انهمـاك مـن عمله. ومبلغ نذيـر يقبضـه مـن بيـع سـمكاته، بعـد جهـد لا يساوي ثمن الطعم ووقود المحرك المبحوح!

وعوالم أخرى تحيك سعادتها من شـقائها هنـاك فـي قعر البحر. وملاحقات من قبل "هـامور" لسـمكة مسـتضعفة. تلـوذ بـالدخول فـي "قرقـور" فيندفـع "الهـامور" وراءهـا، فـي إغراء منه للسمكة أسال لــه لعابـه. فيكـون "الهـامور" رهيـن محبسـه، والسـمكة فـي أحشـائه، أو أن تدخـل سـمكة أخـرى كبيرة لها معدتها المميزة، لتأتي على كل الطعم الموضـوع، إلى حيث بطنها. فلا يكون هنـاك أي إغـراء لبقيـة الأسـماك للدخول إلى "القرقور". بل الفرار من أمامـه لتسـمر السـمكة الكبيرة بداخله، مما يضطر "راشد" بـأن يضـع كميـات أكـبر من الخبز، فيكلفه ذلك أكثر.

(قطعت في فترة وجيزة، مرحلة هامة من تطويـرك للعمل. هذه نقطة ستدون في سجلك للإسراع في ترقيتك).

دائماً مواقيته في الذهاب إلى البحر تكون بعد صلاة الصبح بقليل. تاركاً أمه وأطفاله وزوجته في رثاء لا يعرف إلى من يمضي، إليه أم إليهم؟ فــي يومـه الأول مـن الذهـاب إلى الصيد شيعته كلمات أمه، في ألم تخترق سكاكينه قلبـه، متزامنة مع كلمات زوجته:

" الله يفرجها عليك...".

* * *

ناصر محمد العديلي

(السعودية)، أصدر مجموعة الزمن والشمس اللذيذة (١٩٨٥).

وقت للحب

- أتفق معك أن يوم الخميس هو أجمل الأيام..

زاد جمال هذا اليوم عندما افترشنا الزولية المزركشة في وسط حديقة منزلنا الجديد.. شمس صباح الشتاء الساطعة واللذيذة تشعرني بالأمن والدفء.. زهور شجيرات ورد الجوري حولنا تتراقص لنسيم الصباح الشتوي الجميل..

قلت أتفق معك أن يوم الخميس هو أجمل الأيام.. ليس لأنه اليوم الذي لا نمارس فيه عمل رسمي بل لأنه اليوم الذي تتيح لنا الفرصة أن نتناول فيه قهوة الصباح معاً ونحن أكثر سعادة وحبور..

هاهم الأطفال الثلاثة حولنا كالفراشات الجميلة، أصوات ضحكاتهم تصل إلينا كالموسيقى العذبة.. عيناك الواسعتان تكتحلان بشمس الصباح.. تتنقل نظراتك هنا وهناك.. تلتقي بصفحة السماء الزرقاء ثم تعود إلى أرض الحديقة الخضراء.. رائحة قهوة الصباح التي تدلقينها من الدلة الصفراء الذهبية في الفنجان (المرمري).. تفوح رائحتها الزكية.. تخترق أنفي.. تتوغل في شراييني.. تتواصل الرائحة.. يتبدد دخانها القليل.. طعم القهوة (المهيلة) ينفذ من خلال لساني إلى بقية أجزاء جسمي.

منذ أن شاهدتك أول ليلة شعرت إن عيوننا وجدت بعضها الآخر.. قلت في ذاتي تلك الليلة المعطرة في الحناء ودهن العود - العيون مفاتيح المستقبل - والبارحة عندما شممت - رائحة الحناء في شعرك - أحببت من جديد شجرة الحناء..

الأطفال يتقافزون كالأرانب البرية.. حبات التمر الحلوة تذوب في فمينا.. تمتزج مع مرارة القهوة ذات الرائحة النفاذة.. تشابكت الذكريات هذا الصباح، كما تتشابك خطوط اللوحة الحديثة والجميلة..

تساءلت ذات مساء باهت في الشقة منذ سنوات.. كيف يرتاح الأطفال ويلعبون في شقة مستطيلة وضيقة

كعلبة الكبريت.. نحن الكبار دب فينا السأم والملل.. كيف يستطيعوا ركوب دراجاتهم، ويمرحون بين هذه الحيطان الصماء؟

قلت لك وقتها: المستقبل بخير.. كل طفل يأتي ورزقه معه.. لن تطول اقامتنا في هذه الشقة.. سوف نرحل إلى منزل أوسع يليق بطموحاتنا وحاجات أطفالنا..

طلبت منك أن تتصوري المنزل الذي تحلمين به ذات يوم.. شاركتك الخيال والأحلام.. رسمنا على ورقة بيضاء شكل المنزل مساحة الحديقة.. عدد الأشجار.. ثم دخلنا داخل المنزل.. حددنا مكان الغرف في الدور العلوي.. أكدنا على حجم غرف الأطفال.. وقربها من بعض.. ثم حلمنا بغرفة نوم كبيرة تفضي إلى حمام واسع ومريح.. درج مستدير خليط من الرخام وخشب المقنو يقود إلى الدور الأرضي، صالة طعام مطبخ واسع ومفتوح على الصالة العائلية.. صالات واسعة وأبواب مطلة على الحديقة من الجهتين الشمالية والجنوبية.. فتحات في السقف ونوافذ عريضة ينفذ من خلالها الهواء وأشعة الشمس، مدفأة جميلة لنوقد فيها النار في الشتاء، مسبح و(سانا) للصيف وتداخلت الأزمنة قلت لماذا لا تجمع نفسك وتضع قراراً للرحيل إلى المستقبل.. امتط نعليك

صمم على تسلق المستحيل.. افتح نافذة للهواء العليل، تشعبت الممرات.. امتزجت الأحلام بالواقع.

رائحة قهوة الصباح تعيدني إلى الحديث معك.. الفراشات حولنا تشاركنا الحديث والملاحظة.. هذا صباح جميل قررت أن أصحب الفراشات الثلاث إلى "السوبر ماركت" لابتياع بعض اللحوم والفاكهة والخضروات.. جذبتنا اللحوم الطازجة في "السوبر ماركت". ابتعنا بعض شرائح مكعبات لحم البقر الصغير وشيئاً من طيور الفرّي.. الفراشات جذبها "الآيس كريم" الملون والحلويات، ابتعنا بعضاً منه وفاكهة.. الناس تتزاحم عيونها مسمرة بالأطعمة والمكسرات.. الطوابير تدف العربات وتعمل الأكياس المعبأة بالحاجيات.. أصوات الألات الحاسبة تحصي الحاجيات وتلتهم الريالات.. الناس تخرج إلى الشمس وأصوات السيارات تهدر في المواقف..

قررنا هذا اليوم نشوي الطيور ومكعبات اللحم البقري في الهواء الطلق.. أخذت الفراشات تلهو بالآيس كريم. جذبنا الشواية العتيقة ألقينا بها الفحم ثم القاز..

أشعلنا النار.. حذرت الفراشات من الاقتراب حتى تجمر النار ويصفو اللهب.. ابتعدنا نلعب الكرة مع الفراشات.. لهونا بعض الوقت، أحضرنا مكعبات اللحم

والطيور مزجنا لحومها مع التوابل المملّحة.. شككنا اللحم في الأسياخ مع شرائح البصل.. وضعناه فوق الجمر المستعر.. تركناه.. استأنفنا اللعب والفراشات.. سرت الحرارة في جسد الطيور واللحم البقري.. فاحت الرائحة امتزجت بأصوات لسع الجمر للأجسام الصغيرة.. قلبنا اللحم زادت الرائحة الجيدة.. اخترقت أنوفنا.. اقتربت الفراشات من اللحم.. سعدت بالرائحة الزكية.

نضجت الطيور الصغيرة واللحم المكعب تحلقنا حولها.. تحدثنا عن دفء الشمس، انشغلت الفراشات بمضغ اللحم اللذيذ انشغلت بعرش عظام الطيور ومكعبات اللحم، سمعنا أصوات أسنانها الصغيرة كأرانب تقضم حبات الجزر.

تطلعنا إلى السماء الزرقاء وقطع السحاب الجميلة، تبادلنا النظرات والابتسامات وكأننا ننظر بوجوه بعضنا لأول مرة ليلة الزفاف. هجرتنا الفراشات لإكمال اللعب بعدما شبعت وطربت، تبادلنا الابتسامات الجديدة، تذكرنا أشياء عديدة هذا اليوم مرت علينا برحلتنا الحياتية الممتعة، قطع علينا تفكيرنا صوت (عاملة المنزل) الآسيوية وهي تحضر إبريق الشاي الصيني، تبادلنا النظرات ونحن نرتشف الشاي الممزوج بالنعناع والزنجبيل، سيطرت

علينا فكرة المنزل الجديد ذي التصميم العربي الأندلسي، الغرف العديدة والمستديرة حول ساحة المنزل، المسبح المظلل والقبو وغرفة النوم ذات السرير المائي، تبادلنا وجهات النظر مع حلاوة الشاي الدافىء، غرقنا في تفاصيل وأحلام جديدة للمنزل الجديد، تذكرنا غرفة النوم الحالية لإكمال الحلم الجديد ورسم معالم السرير المائي.

* * *

هناء حجازي

من مواليد جدة (السعودية)، تعد لإصدار مجموعتها الأولى (حلم خلف باب موصد).

السائق

كان في الخارج صوتاً يعرفه جيداً.. يحفظه.. بل ويكرهه.. السيدة تطلبه مرة أخرى، وأخرى، وأخرى.. متى سقط جسده على السرير؟.. بعد آخر مشوار؟ آخر الليل؟، في ساعات الفجر الأولى، أم بعد بزوغ النور؟ لا أحد يدري.. يدري فقط أنه يكره هذا العمل، يكره التعب الذي يسكن جسده، يكره جسده، ويكره السيدة، يكرهها.

عاد من مشواره.. أقفل الباب.. بكى وهو يتمنى أن لا يفتحه مرة أخرى.. تمنى بقلبه، بدموعه، تمنى أن يموت كي لا يفتحه مرة أخرى.. يستيقظ على صوت

الجرس، مرة، اثنتين، ثلاثـاً.. يعـرف أنهـا ضجـرت وهـي تنتظر، يعرف أنه سيتعرض لصوتهـا الحـاد، وربمـا لقليـل من الشتائم – فالسيدة مؤدبة – لكنهـا تحتـد بسـرعة، تحتـد فترسل صوتاً غاضباً يخترق أذنه ويظل يـتردد صـداه فـي أحلامـه ليقـوم مفزوعـاً مـن كـابوس صـوت السـيدة وهـو يخنقه.

ومـرة أخـرى صوتهـا.. أو الجــرس، الجــرس أو صوتهـا.. أو.. أو أن يغـادر.. يغــادر؟.. يغـادر؟.. حيـن طرح همومه على رفاقه ضحك بعضهم، وبعضهـم أرسـل أنّة عميقة، وكلهم نضحت وجوههم تعباً وضجراً.. قال لــه أحدهم إن نهايته الـترحيل أو العـودة إلـى الكفيـل وإلـى أن يصل إليها سيظل قلقاً، خائفاً، أما إذا رضيت عنه الدنيـا – التي لا ترضى غالباً عن أمثاله – فسوف يجـد عمـلاً عنـد أناس آخريـن، قـد لا تكـون السيدة عندهـم مهذبـة كسـيدته الحالية.

استيقظ على صوت الجرس.. قوياً، غاضبـاً.. زاد عناده.. ظلّ الجرس يرن، ظل هو يستمع إليه ترتسم علــى شفتيه ابتسامة مــاكرة، لـن يـرد.. كـان قـراراً ملحـاً، ربمـا غبيـاً، لكنـه أحـس أنـه لـو رد فسـوف تخـرج روحــه مــع

صوته.. كان الجرس عصبياً، وهو أيضاً.. ظل يتقلب على السرير، يسد أذنيه، صدره ثقيل، نظراته زائغة، حلقه جاف، لكنه.. لا يستطيع، لا يستطيع أن يرد.. توقف الجرس أخيراً.. ارتفع نشيجه، حاداً، عالياً، بكى.. بكى.. دخل إلى الحمام، غسل جسده بماء بارد، خرج، رد على السيدة، اعتذر بالحمام، حك عينيه الحمراوين، وركب السيارة.

دعاه أحد الرفاق إلى البيت الذي يسكنه، وعده بسهرة جيدة وبعض المسليات، أشياء تسكن روحه قليلاً، وتجعله أقدر على احتمال حالة التقشف التي يعيشون.. لكن.. السيدة، ماذا لو رفضت؟ أو احتاجت إليه في مشوار مفاجيء أو غير مفاجيء، سهرة مثلاً تعني أن يقضي الليل يراقب النجوم والشارع الخالي من خلال زجاج السيارة، يغضب السيدة؟، أم يلبي الدعوة؟.. يحتاج هذه السهرة، يحتاجها الليلة.. الآن، حسم قضيته، تأكد أن لا أحد بالخارج.. ذهب.

في الصباح سمع موالاً طويلاً، طويلاً جداً هذه المرة، استغرق الطريق من البيت إلى العمل، ابتسم، سهرة البارحة كانت ممتعة، يستطيع بعدها أن يتحمل صراخ

السيدة مدة أطول، أن ينتظرها طوال الليل، أن يجلس في الشمس ساعات طويلة دون أن تشق صدره زفرات الضجر والتعب، يستطيع أن يلبي الدعوة في المرة القادمة دون أن يتردد.

* * *

ياسر عبدالباقي عبده أحمد

من مواليد ١٩٧٢ (اليمن)، يعد لإصدار مجموعته القصصية.

الثأر

وضعت يدي على أذني ورددت في نفسي: لا يا أمي لا يمكن أن أقتل، زمن الثأر قد رحل، ولكن صوت أمي الأجش وعينيها الجامدتين يخترقان صدري قائلة: ثر لأبيك.. ثر.. تابعت قائلة: لقد انتظرت حتى تكبر.. فقاطعتها صائحاً: كفى يا أمي.. هل تريدينني أن أقتَل مثل أبي؟!

قالت بصوت عميق: لقد مات أبوك من أجل هذه الأرض.. ومن أجلك أنت.

فصحت: لقد حصلنا على الأرض.. وسجن قاتل أبي.

فأجابت أمي صائحة: لكنه خرج اليوم وداسها بأقدامه الوسخة وكأنه يتحدانا.

فقلت: ليدسها مائة مرة.. إنها أرض الله قبل أن تكون أرضنا.

فقالت بهدوء شديد: نعم.. ولكنه وهبها لنا لنرعاها ونحافظ عليها.. إنها أمانة في رقبتنا حتى يوم الساعة، قالت ذلك وتركتني.

وانتشر خبر خروج قاتل أبي من السجن في القرية بسرعة البرق.. وساد صمت رهيب في القرية، لعل الجميع كان ينتظر منا طلقات تنهي حياة قاتل أبي.. حتى أن بعضاً من أهالي القرية الكبار جاءوا ليذكرونا بالثأر.. فقالت لهم أمي بثبات: إننا فقط ننتظر الفرصة.

وقال لي كبيرهم: خذ بثأرك يا بني.. بثأر أبيك.

ولكنني طردتهم صائحاً: وما الفائدة.. سيقتلني أبناؤه؟

وفي المساء.. جلست أراقب أمي وهي تَعجن بيديها القاسيتين.. وإلى عينيها الحاقدتين والتي لم تذق طعم النوم من عشرين سنة، رفعت رأسها ونظرت لي نظرة كلها تأنيب وتعنيف، فأدرت رأسي إلى الجدار هرباً من تلك النظرة.

ولكن صورة أمي ظلت تلاحقني فدسست رأسي في

الفراش وحاولت أن أنام.. وسمعتها تقول: سمعت كلامك – وتركتك تكمل الثانوية وتدخل الجامعة.. وخطبت لك البنت التي تريدها ,..

وقاطعتها: وأنت الآن تريدين هدم كل شيء؟!

تلك الليلة لم أنم، فصوت أمي مازال يرن في أذني، فصرخت: كفى.. كفى يا أمي.

وجاءت أمي مهرولة على صراخي: ماذا بك؟ إنك ترتعش!

كانت الرعشة قد وجدت طريقها إلى جسدي.. وأجبت: أنا خائف يا أمي.

وشاهدتها تبتسم رغم الظلام الشديد: خائف.. آخ خائف منه؟ اذهب واقتله لكي يذهب خوفك منه.

وأسرعت بالقول: أنا خائف منك يا أمي.

واستدارت عائدة إلى الغرفة بوجه غاضب.. وشعرت بأني أريد البكاء فقد ارتكبت حماقة في حق أمي وأنا أعرفها لن تسامحني بسهولة. فقفزت من فراشي وذهبت إليها ورأيتها جالسة وكأنها تنتظرني.. فقلت لها: أمي أنا آسف لم أقصد أن أؤذيك، كنت أقصد أن أقول: إني خائف لأجلك. لكنها قاطعتني ومدت لي البندقية: اذهب واقتله إذا كنت تريد رضاي، وكان لعينيها الآن بريق مخيف مما أخافني، وأمسكت البندقية وركضت إلى خارج.. متجهاً

إلى منزل قاتل أبي، وشعرت بقلبي وكأنه سيفر من ضلوعي، وبعد لحظات كنت قد وصلت ورأيته جالساً بين أبنائه على سقف المنزل يتسامرون سعداء بخروج والدهم من السجن.. وصوبت البندقية وصرخت لأقطع فرحتهم: يا قاتل أبي هذا من أجلك.

وأطلقت الرصاص ووجوههم ذاهلة وخائفة في آن واحد، وعدت إلى البيت بعد أن سمعت صرخة وارتطام جسمه على الأرض أيقنت بأني قتلته وإن لم يمت برصاصتي فإنه سيموت بارتطامه على الأرض. واستقبلتني أمي.. عند الباب كما تستقبل الأم ابنها العريس وانهالت علي بقبلات لا تنتهي.. ولأول مرة سمعتها تقول بصوت عذب: بطل.. بطل رفعت رأسي عالياً أمام أهل القرية. ولكنني دفنت رأسي على صدرها ورحت أبكي، وقلت وما القائدة يا أمي؟ إنهم سيثأرون لوالدهم.

قالت بنبرتها المعتادة: لا.. لن يفعلوا ذلك، الجميع في القرية يعرفون أنه القاتل.. قاتل أبيك.. أقسمت أنه لابد من الثأر أمام الجميع.. والثأر واجب علينا حتى بعد خمسين سنة.

وبعد نصف ساعة سمعنا ضجيجاً وصراخاً.. وأطلت أمي من النافذة وقالت: إنهم أهالي القرية قادمون إلينا وأضافت مبتسمة: جاءوا ليهنئونا.. لا.. لا، فجأة تغيرت ملامح وجه أمي وصرخت: هذا جني.. جني.

ورأيت بعض الرجال قادمين إلينا يحملون فوانيس تضيء لهم الطريق وعلى أكتافهم بنادقهم.. ويتقدمهم رجل يحمل جثة، ورفعت رأسي وصعقت.. لم يكن حامل الجثة سوى قاتل أبي، وشعرت بيد أمي تهزني بعنف وصاحت بي لقد قتلت ابنه البكر، وأضافت وعيناها تتطلع إليهم: والقادمون ليسوا أهالي القرية.. إنهم أهالي القتيل جاءوا من أجل.. من أجل، ولم تكمل.

فقلت ودقات قلبي أسرع من خطواتهم: لقتلي!! وما ذنبي؟

وضع الرجل ابنه الميت على الأرض وحل من كتفه بندقيته وصاح منادياً باسم: هيا اخرج بسلاحك ليموت أحدنا وننهي الثأر.

فأسرعت أمي لتقول لي: إن كانت الطلقة الأولى أخطأته فالثانية ستقتله، ومدت لي البندقية.

فقلت هائجاً: كفى يا أمي.. سيقتلني.. هل تريدين أن يفعل ذلك؟ صاحت: لا.. أريدك أن تفعل أنت ذلك.. إن لم تخرج الآن لتصرعه.. فإنه قد يقتلك غدراً.

نظرت إليهم – جميعهم مسلحون ينتظرون خروجي ليثقبوا جسدي بالرصاص وسمعت أمي تقول: اخرج.. واقتله.

قلت بإصرار: لن يقتلني وأنا أعزل.. فقالت بحدة

كحدة السيف: لقد قتلت ابنه وهو أعزل. فقلت مستخفاً بها: ابتعدي يا أمي.. فالثأر يجري في عروقك أنت فقط.

فقلبت شفتيها ورمت البندقية وقالت: ابق أنت هنا، وسترى أن الثأر يجري في عروق كل الناس.

قالت ذلك وخرجت وأغلقت الباب خلفها - بعد ثوان سمعت عدة طلقات نارية، فصرخت: أمي.. أمي، وفتحت الباب وهوت أمي على صدري وقد لمحت على وجهها الحزين ابتسامة جميلة لأول مرة وقالت: هذه هي الحياة، ثم أغمضت عينيها ببطء إلى الأبد.. وضعتها بلطف على الأرض ورحت أبكي بمرارة إذ شعرت بأني السبب في موتها.. واقترب مني قاتل أبي وأمي ومد لي البندقية قائلا: لقد جاء دورك الآن لتنتهي هذا الثأر اللعين.. ولنكن متعادلين. وكأنه يطلب مني قتله.. وزاد عدد الناس عن عدد الفوانيس التي بدأ ضوؤها يخبو قليلاً.. قليلاً، وكانوا قد علقوا بنادقهم على أكتافهم.. ووضعت فوهة البندقية على جبينه وبي رغبة شديدة لقتله.. كنت أدرك لو قتلته الآن لن يتجرأ أحدهم على قتلي.

أغمض الرجل عينيه.. انطفأت أضواء الفوانيس.. مرت سحابة سوداء على القمر.. فغبنا عن عيون الكون لحظات في ظلمة الليل.

* * *

انتصار العقيل

من مواليد ١٩٥١ (السعودية)، أصدرت العديد من الكتب الأدبية، تعد لإصدار مجموعتها القصصية

المرأة الخضراء

أمسكت بيد صغيرتها - ابنة الثالثة - قبل أن تركض.. وتسبقها في الدخول إلى - السوبر ماركت - حملتها بين ذراعيها وأجلستها في المكان المخصص للأطفال في عربة المشتريات. شعرت بالسعادة تغمرها وهي تنظر إلى طفلتها التي امتلأت حبوراً ونشاطاً وهي تتلفت يميناً ويساراً وتصيح بصوت طفولي:

- ماما أول شيء الشوكولا.. من هنا يا ماما.

قالت لها وهي تمد يدها تداعب شعرها:

- بل آخر شيء نفعله ابتياع الحلوى والشوكولا.. أول شيء نذهب لقسم الأجبان.

اليوم أول الشهر وعليها أن تبتاع ما تحتاج من "السوبر ماركت" لمدة أسبوعين.. هي لا تبتاع – من هنا – سوى الأجبان وبعض المعلبات الضرورية؛ أما جميع احتياجات المنزل فتبتاعها من محلات البيع بالجملة ومن "الحلقة".. حيث الأسعار معقولة جداً إذا ما قورنت بأسعار البقالات الكبيرة.

منذ أن تزوجت عهد لها زوجها "أحمد" بمسؤولية مصروف البيت.. مازالت تذكر كلماته حين عادا من رحلة شهر العسل.. يومها قال ضاحكاً:

– انتهى يا ستي العسل وبدأ البصل.. من اليوم ستذهبين إلى "الحلقة" وأسواق الجملة وتبتاعين لنا البصل والثوم واللحم والخضار وكل ما يلزم البيت.. تفضلي يا سيدتي الجميلة منذ اليوم أنت وزيرة ماليتنا.. هذا راتبي الشهري كاملاً بين يديك، اجلسي وخططي واحسبي.. كيف تنفقين كل قرش في مكانه الصحيح.. حتى أنا حددي لي مصروفاً شهرياً.. لكن أرجوك يا أحلى زوجة أن تكرميني ولا تبخلي عليّ.. أظل أستحق منك شيئاً من الكرم.. فلا تنسي أني أنا الذي أجاهد و"أكرف" طوال الشهر في العمل يومياً من السابعة صباحاً إلى الخامسة عصراً.

منذ ذلك اليوم وهي أكثر من حريصة أن توفر لأسرتها أفضل مستوى معيشة.. أخرجها من تفكيرها صوت أتاها من ورائها يقول:

- صباح الخير.

التفتت إلى صاحب الصوت.. رأت شاباً أنيق الهندام.. لم تره قط في حياتها. أدارت رأسها بسرعة.. من النظرة الأولى أدركت أنه من فئة الشباب المتسكعين في الأسواق.. هذا النوع من البشر أفضل شيء تفعله معهم.. تجاهلهم.

توقفت أمام قسم الأجبان، راحت تختار الأجبان المفضلة لدى زوجها - المهم جميعها لابد أن تكون قليلة الدسم حتى اللبنة - أتاها الصوت مرة أخرى:

- هل بإمكاننا أن نتعرف؟؟

لم تلتفت صوبه.. أكملت تجميع ما تحتاج من أجبان.. دفعت العربة في اتجاه قسم البهارات.. تناولت علبة من الكمون.. الفلفل الأسود.. القرفة.. فجأة رأت ورقة مطوية ترمى في داخل عربة مشترياتها.. جنت غضباً من وقاحة هذا المتسكع، مدت يدها بسرعة إلى الورقة.. وألقت بها أرضاً.. داست عليها بقدمها.

رأت نظرات الحيرة والقلق في عيني صغيرتها

التي بدأت تلاحظ مطاردة هذا الغريب.. توجهت إلى قسم الحلوى.. اختارت الصغيرة الشوكولا التي تحبها.. عاد الصوت يرن في أذنها:

- معقول.. هذا الجمال بهذا العنف!!

يا له من وقح إنها ترتدي الحجاب الذي فرضه الله عليها؛ ورغم هذا يتجرأ على التحرش بها دون أن يخجل من نفسه، دفعت العربة مسرعة في اتجاه باب الخروج.. قررت أن تدفع الحساب وتعود في المساء مع زوجها لتكمل مشترياتها..

مرت بقسم المجلات توقفت لتبتاع المجلات الأسبوعية التي تحرص على قراءتها.. وإذا بالرجل يقترب منها قائلاً:

- لا أصدق.. مثقفة.. ولا تفهم معنى الحرية!!؟

يالنذل.. هل الحرية ابتذال.. هل الثقافة فجور؟!

في تلك اللحظة.. انشقت الأرض وإذ أمامها رجل آخر يحمل عصاً غليظة في يده صاح بها:

- عودي إلى بيتك.. عوضاً عن الصياعة في الأسواق.

اشتعلت غضباً.. شعرت بنفسها كبندول الساعة

تتخبط بين هذين الرجلين.. واحد يريد أن يستعملها كأية سلعة.. والآخر يريد أن يعطل حياتها ويهمشها.. عجباً!

جميع من في المكان لا أحد يحرك ساكناً لمساعدتها.. لا يتحرك شهم واحد لمناصرتها يا لجبن هؤلاء البشر!!

تذكرت مسلسل "الرجل الأخضر".. ذاك الرجل الذي يتحول إلى رجل خارق القوة.. بل يتحول إلى وحش حين يظلم أو يساء إليه.. شعرت أن الغضب يفتق صدرها لتتفجر في جسدها قوة هائلة.. بسرعة اختطفت العصا من يد الرجل الثاني، رفعت رجلها اليمنى، ثنت ركبتها.. كسرت العصا على فخذها وهي تصيح بصوت كالرعد ملقية العصا المكسورة عند قدمي الرجل:

- لا أنت ستدفنني وأنا على قيد الحياة!!

والتفتت بسرعة البرق وتناولت علبة "الفلفل الأسود" من عربة المشتريات فتحتها وأفرغت ما بداخلها في قبضة يدها واتجهت إلى الرجل الأول نافخة في اتجاه عينيه تلك الحفنة من "الفلفل الأسود" وهي تزمجر قائلة:

- ولا أنت سأبيح لك إزعاجي.. ومضايقتي.. ستغض البصر شئت أم أبيت.

بكل هدوء.. كأن شيئاً لم يحدث.. أمسكت العربة

ودفعتها في اتجاه المحاسب. دفعت المبلغ المطلوب منها.. سمعت تصفيق بعض الزبائن والعمال.

لم تبال بالتصفيق ولم تسعد به.. تصفيق لا تحتاجه بعد أن حسمت الأمر بنفسها.

حملت طفلتها بين ذراعيها وضمتها إلى صدرها؛ لتهدىء من روعها وهي تقول؛ ودموع الغضب الصامت حائرة في مقلتيها:

- اطمئني يا صغيرتي.. اطمئني.

قسماً بمن رفعها سماء ووطأها أرضاً.. لن أجعلك تعانين ما أعاني منه.. سأمهد لك درباً سالكاً لحياة كريمة هانئة تنعمين فيها بما وهبك الله من حقوق كإنسانة لها كيانها.. لها آدميتها.. لها كرامتها المصانة.

أخرجت زفرة حادة من بين أضلعها.. شعرت أن حقيقة مفجعة تمزقها.

في الجاهلية وئدت المرأة؛ وفي القرن الحادي والعشرين يخيرها الرجل بين الوأد والاستعمال..!!

* * *

محمد بن سيف الرحبي

(سلطنة عمان)، أصدر مجموعة بوابات المدينة (١٩٩٤) مجموعته الثانية ما قالته الريح تحت الطبع.

الكارثة

الجلسة الأولى

القاعة الواسعة، والزينة من كل جانب كأنها بقايا أساطير ألف ليلة وليلة، القاضي بلحيته الكثيفة يقبع وراء طاولة مرتفعة، من وراء نظارته السميكة أطال النظر في الجالسين.. هو واقف كالعصفور الجريح وسط غابة من الصقور يحسبها تنقض عليه اللحظة قبل التي تليها.. ينتفض القاضي سائلاً بطريقة درامية:

- لماذا سرقته؟

- لم أسرقه.

- لكن هناك العشرات شهدوا بأنهم رأوك تسرقه!

- لم يشاهدني أحد أسرق شيئاً.

- إذن لماذا - تعتقد - أنهم فعلوا ذلك؟

- ....

يصلح القاضي جزءاً من هندامه الناصع البياض، ويرتد إلى الوراء قليلاً على كرسيه الكبير رافعاً نظارته قليلاً يتفحص الواقف في الإطار الخشبي.

- الاعتراف أفضل لك. يجب أن تكون مواطناً صالحاً كالبقية.. لماذا سرقته؟

- أنا لم أسرقه وإنما.. أخذته.

سرت همهمة بين الجالسين وراء الطاولات، الطاولة الكبيرة المزخرفة، والأخرى الجانبية، وشيء مختلف بين من هم أمامها.

- ما الفرق بين السرقة والأخذ؟

- ....

- لماذا تجمد لسانك؟.. لقد أخرسك الحق.

- ....

يلتفت القاضي إلى اثنين عن اليمين والشمال يكتبان إفادة المتهم، وحين تأكد أن أقلامهم مستمرة في

الكتابة ابتسم حتى رأى الجالسون أسنانه الصناعية الجميلة، نظر إلى المتهم متهكماً:

- من يسرق الشيء الصغير يمد يده إلى ما هو أكبر.. لابد من قطع يدك.

فجأة انفجرت أساريره، وبدا كأنه يريد أن يفتح فمه، إلا أن سعلات القاضي تواصلت بشكل يدعو للشفقة، وحين أنهى نوبة السعال، كانت عيناه مفزعتين، وحشرجة في صدره تتردد كالعاصفة.

- يا سيدي قلت إنه كان شيئاً صغيراً، وكل الشهود وصفوها بالكارثة؟

- أرى فصاحة قد خيمت عليك.. ما أخذته ليس صغيراً، إنه شيء غال، كان سلساً وجميلاً.

- لكن يا سيدي.. كان فارغاً.

جحضت عينا القاضي، واحمر وجهه، ازدادت درجة الحرارة، وارتفع الضغط داخل القاعة، ومن فيها، مسح القاضي جبهته بمنديل ورقي معطر، يفهم شخص هناك ما دار ويدور فيصيح: رفعت الجلسة.

الجلسة الثانية

في نفس المربع الخشبي، يقف بخشوع الموت،

تتأمله الوجوه برغبة غير محددة، يغوص في نفسه أكثر، كلهم قضاة.. وحده المتهم.

يفتح أحدهم كتاباً سميكاً، وتنهال الأسئلة على المتهم.

- ئم راتبك حتى تضطر إلى مد يدك إلى مال الغير؟

- هل أقول الرقم الموجود في دفاتر العمل أم الذي يصل إليَّ صافياً؟

ضحكة خفيفة لا تعبر عن الوضع المتأزم.. السؤال الإجابة يزيد من حدة الصمت والترقب، كأنها صلاة جنائزية، الصمت يمر بدقائقه كأنه الدهر.

- كفاك تذاكياً وأجب، وإلا ....

- يا سيدي، ثلاثة يتقاسمون معي راتبي المقدر بمائتي ريال في ورقة التعيين.

- إنك تكفر بالنعمة.

- ....

- هل تنكر إنه أصبح الآن لديك؟

- لا.

- أخذته إذن بعد طول انتظار وترقب.

- نعم، ولكنني أخذته من سلة المهملات، أخذته بعد أن أحسست أنه فارغ.

- أنت تعترف بالسرقة؟

الأمر لمن يهمه الأمر.. رفعت الجلسة.

الجلسة الثالثة:

الوقار يعم المكان، يدخل غارقاً في صمته، يتخيل ذلك البائس الذي يدخل في اليوم الواحد عشرات المرات حاملاً الشاي والقهوة، والأوراق، وأشياء أخرى إلى سعادة المدير، تثقل كاهله الإهانة، تدمي آدميته، وحين يعود إلى البيت تقول له زوجته مواسية "علشان خاطر الأولاد".. يصمت أمام تعزية زوجته ولكنه يقول لصاحب المكتب الوثير "أتمنى رضاءكم" و"أفضالكم علينا وعلى الأولاد".. والراتب يعزف مقطوعته القديمة - يا من تقف وراء الكرسي - الراتب يبكي أيام الشهر الأولى وأبكيه بقية الأيام.. يشرب المدير قهوته الصباحية من الفنجان الخامس، وبقايا الأربعة السابقين تراق كأنها الكرامة.

الحكم

إن العدالة هي مصدر فخرنا، وهي الميزان الذي تخضع له كافة نواميس الطبيعة، وبعد الاطلاع على ما جاء في المحضر، وما سمعناه من اعترافات المتهم، ولأنه مد يده إلى ما ليس له، وحتى لا يوجد بيننا سارق فإن

العدالة تقضي بمعاقبة من تسول له نفسه المساس بهذه النعمة التي نعيشها و........

الواقف هناك، في المربع الخشبي تتماهى الكلمات في أذنيه، والصور تزداد ضبابية – مساند ساقيه تتباعد كأنها مجاديف مهترئة لسفينة تغوص مع عاصفة حمقاء إلى الهاوية. وذلك المتكلم لايزال يقرأ "إن الله تعالى أمر نبيه بكلمة اقرأ، فهي البدء، والبرهان الكبير على قيمة الكلمة، وعندما سرق المتهم قلم المدير فإنه أنكر ما قام به ذلك القلم، وارتكب جريمة شنيعة في حق العدالة.

بعد دقائق أصبح المربع الخشبي فارغاً..

... بعد دقائق كان هناك امتلاء آخر.

* * *

إبراهيم محمد شحبي

(السعودية)، شاعر، أصدر مجموعة نزف في ذاكرة رجل (١٩٩٧).

فضاء الأمكنة

فركت حاجب الفضاء بأصبعي المعقوف.. تناثر الدمع.. كانت الأرض وردة كالدهان تشتعل زمهريراً.. الناس يحترقون نفاقاً وغيبة.. كنت أتمدد بالبرودة.. عرق الناس.. بل قل: شحومهم المذابة في الحريق تزكم الأنوف.. كنت أشم رائحة مذفرة.. يقول الناس وهم يشتعلون لقد صغرتُ حتى أصبحتُ كقطة صغيرة.. أو قل كقبضة بحجم كف.. أو بحجم عصفور منتوف الريش.. كنت أكبر دون أن يشعروا حتى وسعت الأمكنة.. احتضنت الجبال.. وضعت أكبرها تحت إبطي نكاية به

فلطالما كان يحجب عني رؤيتها.. خرجت خلف الفضاء أنظر أين تكون الحبيبة.. رأيتها على شاطىء بحر أصفر تتأمل.. تذرّ على رجليها رمالاً لازوردية.. كانت جدائلها ترعى في البحر كثعابين خضراء.. حين لمحتني عجنت البحر ورمتني به مازحة.. عاد إليها من وسط الطريق خجلاً لأن أسناني كانت قد سبقته إليها ضاحكة.. غمستْ أسناني في ماء البحر العائد إليها.. أرسلتها لتعود إلي.. تمردت أسناني.. تحوّل كل سن إلى وجه يشبهها.. تقافزت أسنانها لتصير كوجهي.. بدأت الأسنان توسعنا ضحكاً ونحن نقهقه.. الأرض لازالت حمراء ملتهبة.. والناس يتفحمون.. ذابت الجبال من حولي.. صعدتْ الأشجار لتلامس السماء.. سقطتْ كل الحواجز بيني وبين حبيبتي إلا حاجز الزمن.. كانت خارجه.. ناديتها أن عودي.. كانت تجمع أسنانها.. تعيد ترتيبها لتظهر جميلة.. أسناني عادت لي سوداء.. البحر الأصفر جار.. وأنا أدعوها للعودة التفتت تستنكر ونادتني: أن دعني أغتسل من أدران الحب..

قلت: هي ذنوبي فأنا الذي أحببتك..

قالت: صه.. فتساقطت الأشجار ثماراً فأكلنا..

وأكلنا.. ثم مددتُ يدي لأغترف غرفة من البحر الأصفر فاسود.. فرّجت بين أصابعي ليذهب.. فتقاطر الماء كذباً نحيلاً.. سألتها ما السر؟!!

قالت: ملأتك الناس غيبة.. غضبتُ.. والتفتُ إليهم فإذا بهم يتفحمون..

كان الليل قد ابيض.. والنهار مسحة من سواد.. القمر أطل رمادياً.. الثلج يحط بألوان زرقاء..

قلت: كيف ترين لوني؟!!

قالت: متداخل الألوان.. كقوس قزح.. بكيت من هذا الوصف.. أريد لوناً واحداً يميزني..

حين بكيت رقص البحر.. أرادت أن تمعن في إغاظتي فانصرفت تغني.. تجاسرت على الوقوف.. ارتفع حاجز الزمن ليفصل بيننا. مددتُ يدي كي أمنعه فعادت أناملي ملطخة بالدماء البيضاء حين استويت جالساً لم أرَ لها مكاناً.. كان البحر قد تحول إلى رماد.. والثمار إلى أحجار..

رمقتُ الناس المحترقين فإذا بهم ينصهرون عطشاً.. يتوسلون الماء.. أشرت عليهم بالبحر.. ركضوا تجاهه.. سفوا رماده وهمدوا..

نزع الحب لبوسي الـذي كـان يقينـي حـر الغيبـة.. وحبيبتي رحلت.. عدت أخصف عليّ من سباب النـاس الذين أمضوا أعمارهم يتبارون في معرفة الحال التـي أصبحتها.. كل يدّعي لنفسه الإلمام بملابسات حياتي..

حين همد النـاس بعد سفههم لرماد البحر تقزّمت الجبال.. بقي حاجز الزمن هو الوحيد الفاصل بيني وبين حبيبتي.. أعدتُ محاولة الوقوف.. بدأت أخطو باحثاً عنها.. كانت أقدامي تغوص في الصخور تهشم وجه الأرض.. تحول الزمن إلى لا زمن.. وحبيبتي إلى ريح عاتية أقبلتْ نحوي لتجتثني.. لم تكن الأرض تقوى على حملي فهويت في الأعماق.. أطبقت الأرض على جسدي.. أزمنة مديدة حتى قمت من مرقدي فوجدت حبيبتي قد هرمت بجانب رمسي وهي تسرّح جدائلها الشمطاء.

* * *

خالد الخضري

من مواليد ١٩٦٧ (السعودية)، كتب المسرحية والرواية. أصدر مجموعة كوابيس المدينة (١٩٩٦).

شبحها يسكن الظل

ترسمين أحلامك على نافذة الخيال، تعلقينها في مهب الريح.. صورتك المرسومة في ظل الشمس تطاردني أينما رحلت.. أهرب راكضاً.. الكرة الأرضية تجري خلفي في الاتجاه المعاكس.. لم أكن أعرف هي تركض إلى أين..

صورتك تظل متشبثة بالظل، كأنّك خطيئتي تلك التي لا أستطيع الفكاك عنها.. أفكر بشكل جاد في الخلاص.. أبحث عن الطريق، المخرج.. هناك فكرة تساورني، أن أستدير فجأة وأباغت الظل.. أمسك بالصورة.. أمزقها تماماً.. علني أستطيع الخلاص..

ركضت، بكل قواي.. أحس بثقل قدمي اللتين تصران على معاندتي كي لا أحقق ما أريد.. بكل قوة، وبقدرة فائقة، استطعت عزلهما عن جسدي وفكهما من ساقي..

تمكنت أخيراً من الانطلاق.. ألهث.. أكاد أموت.. لعابي يجف في فمي، قواي تخور.. أطراف جسدي تصرخ.. سأموت لا محالة..

كلما ركضت، اقترب الظل، والتصق بي أكثر.. صورتك المدقوقة بطلاء ليلك في ظل الشمس، تمسك بي.. الظل لصيقي، والصورة تتشبث بأطرافه، لا تريد الفكاك..

يا له من جنون..

رجال الشرطة يركضون خلفي بأرجلهم الفولاذية.. استمروا يركضون.. شاهدوا صورتك فجأة.. فزع قائدهم.. تقهقر إلى الخلف، وتقهقر خلفه بقية رجال الشرطة.. تركوني وحدي، وخلفي أنت، الشبح الأسطوري الذي أشعر بخوف منه.. مللت الركض.. تعبت قواي، لا تساعدانني على الاستمرار.. أحاول اقتناص الفرصة، لأنقض على الصورة.. الشبح.. أحاول استغفال الظل

الراكض خلفي.. أندس خلف الأشجار الكثيفة في تلك الغابة التي وصلت إليها.. ألهث.. ألهث.. أتجشأ أنفاسي.. صدري يتقافز أمامي ضربات قلبي المتصاعدة تخرج من جوفي.. كبركان يغلي، في جوف الأرض ويوشك على الانفجار..

سقطت متهالكاً خلف شجرة.. نسيت الظل والصورة.. لم أنظر خلفي.. تذكرت بعد أن هدأت فرائصي.. وقفت على الفور دون شعور، أبحث عن الظل.. لم أجده.. وجدت رجلاً مسناً، أشعث، طويلاً.. محدودباً.. عريض المنكبين.. مخلوقاً عجيباً.. تقاسيم جسده إنسانية لكنه ليس كما نحن..

ظل ينظر إليّ.. فزعت.. بدأ الرعب يسكنني.. ينظر إليّ، نظرات غريبة.. يمسد شعر لحيته الطويل.. ماذا يريد مني.. من أين أتى؟

أجابني فوراً:

- ما الذي أتى بك أنت إلى هنا؟

كأنه شق عن قلبي، ليعرف ماذا يتفاعل بداخلي، مع أنني لم أنطق..

- لا.. لا أعرف، كنت هارباً فقط..

- أعرف.. أعرف..

- تعرف ماذا؟

- أعرف كل شيء.. أعرف ما بنفسك قبل أن تنطق..

- ماذا.. وكيف؟

- أمر، لا دخل لك به.. أجبني فقط، لماذا تهرب منها؟

- إذن أنت تعرفها.. تعرفها.. وأنا لست بحاجة أن أحكي لك الحكاية فأنا هارب وسأظل كذلك حتى أتمكن من الخلاص..

- وتصر لماذا؟

- أصر، لأنها.. لأنها..

أصمت.. ينقطع صوتي.. يغادر الصوت حنجرتي.. لم يعد بها صوت، سكنها التردد.. الحيرة.. محاولة التقهقر.. لماذا..؟

لا أدري.. العجوز يصر.. يصرخ:

- أجب.. أجب يا بني..

- لم أجب.. لم أجب..

قال:

– أعرف أنها تسكنك منذ الأزل.. أعرف أنها كانت كل شيء في حياتك منذ أول رجل وطأت رجله الأرض.. إنك وحدك تعرف جنية البحر التي خرجت إليك من بحار العشاق في كل الأزمنة..

صمت العجوز.. لم يعلم أنها كانت الحب والبغض.. الأمان والخوف.. الجزاء والعقاب.. كانت نشوة المتعة.. عذاب العقاب.. جمعت كل ذلك في هيئة واحدة.. تكوين واحد..

ظللت أهرب حتى هذه اللحظة.. هي لاتزال تطاردني.. تتحرك معي أينما ذهبت..

قال العجوز:

– لن تستطيع الهروب أكثر.. فهي ممسكة بكل أطرافك.. لن تستطيع الفكاك..

أطلق ضحكات عالية، تردد صداها في وديان الروح.. انتشر رذاذها في أطراف الجزيرة..

* * *

جلست لأرتاح قليلاً.. إحساسي بالخوف يزاداد مع

هذا الرجل.. أرغب أن أسأله من هو؟ من يكون.. ما هذه الغابة؟

عندما التفت كانت المفاجأة.. اختفاءه تماماً.. أين ذهب.. أين هو.. إلى أين ولى؟

أنطلق في أنحاء الجزيرة راكضاً أفتش عنه.. صرخت أناديه.. دون جدوى.. ليس له وجود.. من هو.. من يكون.. لماذا لم يعترضني بمكروه، رغم خوفي منه.. أسدى إليَّ نصيحة وذهب.. هل أنا أحلم.. هل أصابني مس من الجن فظهر أمامي أحدهم في هيئة هذا الرجل؟

لأحاول أن أمسك بالظل.. أمزق الصورة التي في داخله.. ما هذا.. اختفت الصورة.. اختفت تماماً مع اختفاء العجوز.. أمر غريب.. ذهلت.. مع شعوري بالارتياح رقصت فرحاً.. أغني.. أمرح في الجزيرة شاعراً بالنشوة بعد الخلاص.. أشجار الصنوبر.. الصفصاف تتمايل مع الريح.. يا للروعة.. لكن أين أنا الآن.. إلى أين ذهبت في رحلة ركضي؟

من أنا.. ما اسمي.. ما تاريخ ميلادي.. أين

بلدتي التي أعرفها منذ زمن.. تاهت عني.. لم يعد لها وجود.. مصيبة حلت بي.. هل وصلت إلى عالم آخر.. غريب عني، أين هم البشر.. هل هم على مقربة مني؟

كيف سأعود إلى أحلامي وعالمي الكبير.. فجأة شعرت بالريبة.. الخوف يتلبسني.. لو ظهر لي حيوان مفترس فجأة.. ماذا سأصنع؟

مخاوف، تساؤلات محيرة تنتابني.. أوجست خيفة.. نظرت خلفي.. ظهر الظل من جديد.. صورتها مرسومة به.. كيف أتصرف الآن؟.. سأنقض عليه فوراً.. أمزقها.. ركضت نحوه.. ركضت.. الظل يهرب منطلقاً عني.. كلما اشتد ركضي اشتد هروبه.. اشتد أكثر.. أكثر.. أركض مصراً على اللحاق به.. كدت أصطدم بشجرة.. تنحيت عنها.. زاغ الظل عنها كالعفريت.. أنا خلفه.. كدت أصطدم بأشياء كثيرة داخل الغابة.. الله لطف.. أصبحت أكثر انتباهاً.. ظهرت بعض الحيوانات المفترسة.. غريبة.. تشبه الأسود والنمور.. لكنها شيء آخر.. ظللنا أنا والظل والصورة المتشبثة به نقفز من فوقها.. نجري خلف بعض.. الظل أمامي.. أنا خلفه الآن.. الحيوانات لم تتعرض لنا بمكروه.. مسافات طويلة

ونحن نركض.. لا أدري مداها.. فجأة ظهرت أمامي صخرة كبيرة.. لم أشعر بنفسي وأنا أقفز فوقها، ثم أهوي في أخمص أعماق الصورة داخل الظل..

* * *

شريفة محمد ناصر العبودي

(السعودية)، تعد لإصدار مجموعتها القصصية الأولى.

رحلة بحث

منذ فترة أدركت أني بحاجة إليه ولكن مشاغل الحياة منعتني من السعي في طلبه. يجب أن أفرغ نفسي لذلك، حيث يحتاج مني إلى وقت وجهد. وأدركت أني كلما تأخرت في ذلك جلبت الضرر إلى نفسي أكثر.

لقد قررت أن أفرغ نفسي من بداية عصر يوم الأربعاء إلى نهاية فترة ما بعد صلاة العشاء، وإن تطلب الأمر فسوف أستمر في البحث طوال صباح الخميس كذلك، فأنا موظفة ولدي الكثير من المشاغل والهموم وفرصتي الوحيدة في الخروج في نهاية الأسبوع. حل يوم الأربعاء المنتظر فذهبت في الصباح كالعادة إلى وظيفتي

وما إن انتهى الدوام حتى التقطت أشيائي وأنا أجر ساقيَّ المتورمتين من كثرة الوقوف وأسرعت إلى المنزل. تناولت غدائي مع الأسرة كالعادة، وحرصت على أن أضع قدمي في ماء دافيء به بعض الملح قبل أن آخذ غفوة القيلولة لكي أكون مستعدة ومرتاحة في فترة العصر عند بحثي عن غايتي..

استعددت للخروج بلباس محتشم، وغادرت المنزل مع السائق إلى بغيتي وقد وطدت العزم على أن لا أعود إلا ومعي ما أريد..

وصلت إلى المحطة الأولى التي توقعت أن أجد فيها ضالتي، وبالفعل وجدت المئات منها فشعرت بالارتياح والثقة بسهولة مهمتي؛ ولكن ذلك الشعور سرعان ما تبخر عندما داهمتني ذكرى تجاربي السابقة في البحث عن أمثاله، وعاد إلي إحساسي بعدم الثقة والصعوبة في تحقيق المنال. شعرت بحزن عميق وأنا أتخيل قوامي القصير غير المتناسق الذي يقف حجر عثرة في طريق اختياري للكثير من احتياجاتي والذي أبعد "الخُطَّاب" عني وأخر زواجي واستقراري إلى الآن، لأن أغلب الناس لا يرون إلا الشكل الخارجي للإنسان ولا يفكرون بمقدار جمال داخله. ولكن نفحة من الأمل عادت لتهب على ذاتي في صورة وجه أمي الطيب وهي تؤكد لي أن "كل فولة

ولها كيال!" وأن المسألة ليست هي أن لا أحد يريدني، ولكن المسألة أن نصيبي لم يحن بعد.. يجب عليّ التحلي بالصبر والتوكل على الله وعدم التفكير في الموضوع.

عزمت على تطبيق نصيحة أمي وأن لا أفكر كثيراً بالأمر. يجب أن لا أشغل بالي الآن إلاّ بما جئت لأجله. يجب أن أحاول استخلاص السعادة الآن من واقعي الذي أنا فيه. فهناك العديد من المجالات التي يمكن أن تحقق بعضاً من الرضا النفسي والسعادة. وأحد تلك المجالات هو ما جاء بي إلى هذا المكان وقدرتي ورغبتي في الحصول على ما أريد. كما أن ما أريده ليس مستحيلاً، بل هو يحتاج إلى المزيد من الوقت للعثور عليه.

وتداعت أفكاري وأنا أقلب نظري فيما أمامي. أنا لا أطالب بالكمال! أريد فقط أن يكون مناسباً ومريحاً لي فالراحة هي أهم شيء عندي. يقال "إذا كان مريحاً جلب الراحة للجسم كله وخاصة القلب. وإذا كان مريحاً حفظ شباب القلب ورفع الجهد عنه"، غريب أن تفكر من هي في مثل سني، في نهاية العقد الثالث من العمر فقط، في أمر شباب القلب. ولكنني من طول انتظاري لنصيبي أشعر أني ابنة الثمانين!!.

مالي ولهذه الأفكار! يبدو أني أعود إلى التفكير في النصيب لا شعورياً عند التفكير في أي شيء آخر.

هززت رأسي بسرعة لطرد تلك الأفكار، وأخذت أستعرض ما أمامي بعين فاحصة أن يكون مناسباً لي هو أهم شيء، ليتني أستطيع أن أختار زوجاً بنفسي!! أن أختاره على مزاجي لكي يناسبني تماماً. الله.. لكم يكون ذلك رائعاً! لو أتيحت لي الفرصة لما طلبته كاملاً فأنا أعرف أن الكمال مستحيل. أريد فقط أن يكون طيباً وحنوناً يشملني برعايته ويوفّر لي لقمة العيش الكريمة بلا إفراط ولا تفريط.

عدت مرة أخرى إلى محاولة طرد الأفكار التي ليس من ورائها طائل، وحاولت التركيز على ما جئت من أجله. وبعد فترة من التفحص والتمعن والتجربة غادرت المكان دون أن أحصل على ما جئت من أجله.

وعند خروجي من المبنى هبت نسمة هواء طيّرت طرف عباءتي فبدا ثوبي الطويل من تحتها، فصفر رجل داخل المبنى الذي خرجت منه، شعرت بالضيق الشديد لماذا فعل ذلك. ماذا رأى حتى صفّر. أنا لست بالطويلة ولا بالمتناسقة القوام وعباءتي ليست عباءة زينة بل عباءة تصلح لما لبستها من أجله. وشعرت بالحسرة. لو كنت مع رجل يحميني ويرد الأعين عني لما تجرأ على الصفير، هذا هو طبع من هم أمثاله يصطادون في الماء العكر، يستغلون ضعف المرأة ووحدتها ليضيقوا عليها لأنهم

يعلمون أنه ربما في لحظة ضعف وفقدان حيلة تستجيب المرأة لهم..

جرّبت البحث في عدة أماكن دون أن أصل إلى ما أريد ولكني لن أتنازل عن الحصول على الأفضل الذي أريده تماماً وكأنه قد صنع لي أنا بشكل خاص..وسوف أصر على ما أريد وإن استغرق ذلك وقتاً. إذا كنت لا أستطيع أن اختار زوجاً مناسباً لي متى ما أردت فعلى الأقل أستطيع أن أبحث عن بغيتي بإصرار.

انتهت فترة العصر، وتلتها فترة المغرب، ثم فتحت المحلات أبوابها بعد صلاة العشاء وأنا لاأزال أبحث. كثرة المشي وطول فترة البحث وبالتالي ازدياد الشعور بالتعب جعل مهمتي أكثر صعوبة..

بدأت أشعر أنه يتوجب عليّ أن أرضى بالموجود حتى ولو لم يكن مناسباً تماماً! يجب أن أقدم تنازلات حتى لا أعود خالية الوفاض!!..

في المحل الأخير الذي دخلته اقترب المسؤول مني بأدب قائلاً: "أخبريني بمواصفات ما تريدين وسوف أساعدك في الحصول على ما تبتغين" ولكني ترددت لم يكن من عادتي الاستعانة بالآخرين للحصول على ما أريد، ولكن الوقت يوشك على النفاد، ولابد مما ليس منه بد.

أخبرته أني أريده أن يناسبني تماماً فيجلب الراحة لي. أريده أن يكون عملياً ولا يهم شكله الخارجي على ألا يكون مبهرجاً يلفت الأنظار فيلغي شخصيتي أنا ولا يبدو إلا هو، أريده أن يكون قوياً شديد التحمل حتى يبقى معي لفترة طويلة..

هز المسؤول رأسه بأدب واختفى لبرهة؛ وعندما عاد أحضر معه مجموعة لأختار منها. وضعتها أمامي وابتدأت أجربها وأستبعد منها ما لا يناسبني. وبعد فترة قصيرة من التفكير اخترت منها واحداً بدا مطابقاً لما أريد.. وما أن جربته حتى أحسست بالارتياح الكامل. لقد احتضن قدمي بشكل جعلني أشعر.. وكأني أطير، أو كأني أمشي على وسادات من ريش.

شعرت بالارتياح الكامل وأخذته وأنا لا أصدق أني وجدت ضالتي؛ دفعت الثمن للبائع وخرجت وأنا أحتضن حذائي والسعادة تملأ نفسي!!!

* * *

محمد يحيى عجيم

(السعودية)، كتب الرواية والمسرحية. يعد لإصدار مجموعته الأولى.

إن كنت رجلاً

خرجت.

بعد عشر سنوات من الزواج.. خرجت..

وحق لها ذلك.

عشر سنوات قضتها مع ابن عمها.. الزوج الذي فرضته عليها الأسرتان.

عشر سنوات وهي لا هم لها إلا هو.. فهو زوجها، رب بيتها، سيد القصر، الآمر الناهي.. والله المستعان.

عمر ليس باليسير قضته تحت راية هذا الذي يقال له زوجها، عمر بكل ما فيه من أسرار الزوجية وآلام آدمية، عمر بما فيه من المآسي يعد دهراً وأي دهر.

إنها حرة بنت حر، ولكن سامح الله من كان السبب.

ولأنها حرة بنت حر حاولت وجاهدت جهاد الضعفاء، فكان جهادها يعتمد على شدة وقلة حيلتها ثم صمتها فانفجارها نحيباً مراً ودمعاً ساخناً غالياً على كل ذي شرف ومروءة، فكم من ليلة باتتها ينعكس على صفحة دمعتها المصباح الأصفر المحمر.. الناعس الواهن.. كم ليلة... وكم من صباح مر عليها وصراخها المكتوم ونياحها المخنوق وشكواها المصادرة الممسوخة من ميقات أهل الحارة لقيامهم من سباتهم... كم تحملت وصبرت.

لقد بلعت من الأعذار ما إن لو ألقي باليم لمزجه، فأي (ديانة) هؤلاء لا يحلو لهم استرداد حقوقهم إلا أنصاف الليالي وفي بطون الأسحار؟

وأي فاعل خير هذا الذي يصر على إيصال الرسائل حتى لو عند مطلع الفجر.

أي كذب هذا.. وأي غلمان هم الذين لا يطيب لهم طلب العلم في دروس الموسيقى إلا على الشطآن؟ ذلك سمعته.. بلعته.. ومثله كثير.. تغاضت عنه.. تحملته.. بل فرمته في مفرمة النسيان الرهيبة.. لاكته حتى غدا مضغة فمجته.. عبست.. تضجرت.. أومأت.. لمحت.. أسرت ثم جاهرت.. أعلنت.. بل صرخت في وجهه ألف مرة.. ثم هدأت.. وأخيراً سكتت.

أصبحت حتى لا تثق في مصدر كسبه.. ويـاذاك الكسب الوفير!! فراحت تعتمد على دخلها هي.. فهي مدرسة.. والله المعين.

عشر سنوات.. غدا للمر في حلقها ينبوع لا ينضب.. حتى خامرها إحساس غريب.. (التبلد).. نعم تبلدت تجاه كل شعور.. فما عادت أنثى وما عاد في نظرها رجلاً.

لقد كانت قادرة على هجره دون خوف.. نعم هجره.. ولكن إلى أين؟ حتما إلى الشارع فهو الحمق بعينه أن تستجير بأهلها منه.. فهم النار إن كان هو الرمضاء.. وأبوها بعد شيخ كبير.

تكومت على نفسها وتداخلت في بعضها حتى لم تعد تتكر منه المنكر أو تقر له بمعروف.. يأتي مطلع الفجر أو يخرج منتصف الليل.. يعود بعد يوم أو بعد ثلاثة أيام.. لا يهم.. فهو يعرف طريق البيت.. وهي إن أراد فيه.

عشر سنوات وذلك كله يهون بل وهان بالفعل، لكن أن ينسف الهرم من أساسه أو يخر من البيت سقفه فإن لا أمل في البناء تارة أخرى.. وهي كذلك.

أن يعتدي على آخر ما تملك، أن تتطاول أيادي الإثم والعدوان وتمس قواعدها كإنسان أولاً وثانياً كامرأة ذات شرف وزوجة ثالثاً فلا.. لا وألف لا..

أن تحرق مخازنها وتنهب ذخائرها.. أن تجر من فوق

عرشها الأنثوي وكأنها نعجة.. أن تسلب ثوب الستر الآدمي وتكشف للمارة وكأنها دجاجة معلقة.. فلا.

صبرت على ما لا يصبر عليه.. نعم.

تحملت وكتمت.. نعم.. ثم تبلدت.. أيضاً نعم، ولكن في غير عزتها ودون القواعد والأسس المتينة من عرشها.. فذلك دونه ولا جرم الروح.

إلا أن يقال عنها الكلام.. إلا أن تنعت بما لا يقال، إلا أن يشار إليها ببنان الاتهام القذرة النتنة، إلا أن تلوك سمعتها الأفواه العفنة، وتتجاذب اسمها الألسن السمجة، أي من ذلك لا.. لا وألف لا.. حتى وإن كان من أقرب الأبعدين منها وعنها.

هي.. عشر سنوات كفت خيرها وشرها وأبداً ليس لإنسان عليها مثقال ذرة من الفضل.

الدنيا بأسرها لا تستطيع الوقوف في وجه الحرائق.. الحرائق الإنسانية.. الحرائق التي يكون وقودها بقايا الكرامة وفتات الشرف.. الحرائق التي تتقد أول ما تتقد في صدور الأحرار وعلى وجوه الحرائر.. هذه الحرائق لن تخمدها كلمة اعتذار أو علبة سلفان ساذجة من أسذج.

إنها الحرائق التي في الأعماق.. ولن تصل إليها الأيادي قبل الدماء.. مثل هذه الحرائق هي التي جعلتها بعد عشر سنوات تترك بيت الزوجية.

خرجت.

خرجت وكأنها الطوفان.. الكل يحب أن ينجو والطوفان من بعده إلا هي.. خرجت وهي الطوفان.. والحريق هي.. وما قيمة الحياة.. إذا ما نبش عش الزوجية المصان بمخلب ذئب أو كلب بشري؟

الكون كله هباء في هباء.. إذا ما نظر في دم حرة يسيل في شوارعه النتنة وكأنه مياه المجاري.

الدنيا كومة غباء.. إذا ما أهدرت ولو مثقال ذرة من شرف امرأة أبية.

لا قيمة للحياة.. ولا للطوفان الآتي لاحقاً إن لم تكن هي.. الحرة هي الطوفان ذاته، هي الطوفان بكل صفاته.. وهي البعد، البعد الذي يخلفه الطوفان.

بعد عشر سنوات قضتها في أصفاد الزوجية المقيتة.. خرجت.. فعلت ذلك، وحق لها أن تفعل.. لأنه ديس لها على طرف وكان الطرف هو شرفها.

أيقال عنها وبعد هذه العشرة ما لا يصح أن يقال حتى عن الإماء؟

أتتهم في أعز ما عندها..؟ أيمزق سترها.. وهكذا جهاراً نهاراً؟؟ ويعرض لحمها عرضاً رخيصاً؟

أيفعل بها كل هذا؟ ومن الذي فعل؟ إن العالم بأسره أبداً لا يستطيع أن يمس شعرة من شعر حرة..

يجبن العالم كله ولا يقدم على العبث بتراب الأحرار.. إذا مازالوا أحراراً.

كيان الحياة برمته.. يقدر ويجل بل ويهاب الاقتراب من عرين الأشاوس.

ومع هذا يكون الغدر.. والسفالة.. والنذالة؟؟؟ ومن من؟ ذلك الزول الذي يقول عن نفسه رجلاً؟ الرجل الذي لم تعرفه إلا ذكراً؟

عشر سنوات وهي لم تعرف منه ولم تجد فيه معنى للرجولة وأين يكمن هذا المعنى، ومع هذا صاغته كرجل.. قبلت به كرجل أو كما هو الأصح ظل رجل ولا ظل جدر.

إنه العالم السفلي النتن – هو الذي أنجب هذا النوع من الرجال.

أي عار.. أي وقاحة ورذالة ووضاعة هي التي اجتمعت وكونت عجينة هذا الرجل؟

أي ماء آسن عفن ضحل هو الذي يجري في عروقه؟

أي وجه مسيخ هو الذي يحمله...؟ أتصل به رجولته ونخوته رتبة تخوله أن يراقب الهاتف؟؟ وهاتف من؟ هاتفها هي؟ هاتف البيت؟

أي شجاعة فيه وأي وقار يجري في أوصاله؟

أيراقب الهاتف؟ ولم؟

أيهيم على وجهه كالبهيمة طوال الليل وينام جل النهار وفي أي مكان غير البيت. و.. و.. وأيضاً يراقب الهاتف؟ أيفعل ذلك ويغفل عما هو فيه؟؟

أيسامر ... السواقط.. أيبيع كل يوم حفنة من ماء وجهه لذا ولذاك حتى ينال من سقط المتاع ما ينال هو وأمثاله؟

إنه لا يخرج من التوقيف كل أسبوع والثاني إلا بكفالة العمدة.. أيلبس ثوب الوحل ويقتات خبز الخزي ويشرب ماء الهوان كل يوم والثاني.. ثم يقول إنه رجل؟

أيكون من أمره كل هذا ثم لا يجد متنفساً يعبر من خلاله عن وجوده كذكر أو كرجل.. وأنه مسؤول وله بيت وله في البيت شاة تطيع بعماء وصمم.. تأتي متى شاء وتغرب عن وجهه متى رغب وألا يكون هذا المتنفس إلا بيته؟ إلا أن يراقب الهاتف؟

ذلك أمر دونه دماء حرة تفور وستفور..

ذلك دونه أهون الأمور على الحرة.. أن تموت ولا يأتي ذلك اليوم.

كان كل ذلك منها على أم رأسي كالصواعق.. كالرعد يسبقه البرق والبريق من عينيها.. وأنا صامت.. ولم أشعر بأني صامت.. علني كنت جامداً.. أو لعلني تصلبت.. وكان يجب.

ثم قلت لها: والآن.. أمرك.. إنك تعلمين أني أعلم الناس

بحالكم وتدرين مدى ألمي من أن أرى الأمر يصل إلى هذا الحد، ولكنك محقة كل الحق ولا لوم عليك ولا إخالك ترسلين في طلبه هنا أو هناك كما هي عادتك، ومع ذلك فما عساني أن أفعل لأجلك؟ ترتاحين أنت وينال هو جزاؤه وتبرأ ذمتي أنا؟

قالت: لا عليك.. وإني ما وجدتني في غنى عن تلطيفك للأمر مثل الوهلة، لذا إن وجدت أخاك هذا فسلمه فاتورة الهاتف للشهور الفائتة وأخبره أن يسددها واختم قولك له بقولي هذا: إن كنت رجلاً..

إن كنت رجلاً فلا تريني وجهك الذي عهدت.. وابعث بروقتي.. إن كنت رجلاً..

* * *

إبراهيم محمد عبدالكريم النملة

من مواليد ١٩٦٩ (السعودية)، أصدر مجموعة دمعة الرداء (١٩٩٥)، مجموعته الثانية ضجيج الأجساد والخطوات تحت الطبع.

حارة المنسيين

اختصار النص:

أطال النظر من زاوية الستار، جمع من الوجوه إعتلاها تعب النهار وغضب الساعات الماضية، جذبتها الخطوات لتستكين على مقاعد كثيرة صفت بترتيب وعناية.

تلك الوجوه ذات العيون الناعسة قدمت من ضجيج النهار لتغفو قليلاً من لحاق الحياة وخوف القادم من بين طيات الأيام، كل شيء في القاعة يبدو للوهلة الأولى طبيعياً، فالأمس الذي انتهى لاتزال آثاره عالقة فوق الجباه ترويه

الملامح الصفراء والسوداء، نفس المكان الذي كان بالأمس ونفس الزمان ونفس الهواء...

كل الوجـوه تتقـارب الملامـح والنظـرات بتلـك القاعـة الفسيحة...

فـي النهـار مارسـت بـرودة نوفمـبر كـل طقوسـها علـى الرؤوس العارية وأبقت في تجمع هذا المساء شيئاً من بقايا حزن ارتسم على الوجوه، القاعة الفسيحة تكاد تختنـق مـن تزاحم الأجسـاد وتضـارب تصـورات العقـول الهاربـة مـن هموم الأمس وواقعية اليوم وخوف الغد...

وتسبل الستار على خشبة المسرح...

وقبل أن تنزاح مرة أخـرى ليحظـى البطـل بقـدرات تفوقـه وإبداعه تتراسل الأجساد نحو بوابة الخروج، وتتزاحم بـلا تنظيم كما هي حياتهم، وكان الشوق قد تملكهم إلى واقعيـة الحياة التي تراجعت عن محور تفكيرهم فترة ليست طويلـة من الزمن تخفت الأنوار.. يسود الصمت.. تعلـو أصـوات الآلات الموسـيقية ومـن ثـم تسـلط الأنـوار الكاشـفة علـى السـتار المخملـي وتدريجيـاً تنخفـض أصـوات الآلات الموسيقية مع إزاحة الستار ليخرج البطل موفوراً بالبسـمة ليجد القاعة وقد خلت من كل الأجساد...!!!.

تفاصيل النص:

المشهد الأول:

أسدل الستار على الفصل الأخير!!!...

تعالت الهمهمات خلف الكواليس، رمى بجسده على أقرب مقعد ومسح بباطن كفه حبيبات العرق التي اعتلت جبينه...

بطل من صوت له نفس ملامح الجمهور الذي كان هنا قبل قليل...

كان لابد من أن يودع هذا الحشد الكبير الذي احتل مقاعد القاعة الفسيحة، شعر بالملل يسكت كل حركاته، خالف نفسه وترجل من مكانه وفي نفسه يختمر شيء من ضيق، الذي سرعان ما تحول إلى زهو قديم قد ارتسم ذات يوم في خياله... فتح الستار للمرة الأخيرة هذا المساء، حلم بواقعية الحلم أن لا تكف الكفوف عن دوي التصفيق – ذلك ما دار بذهنه – خطر بباله أن يرسل قبلة في الهواء لذلك الجمهور الذي ينتظر خروجه ، وحينما فتح الستار للمرة الأخيرة هذا المساء لم يكن هناك أحد....

المشهد الثاني:

كان الوقت قد توارى خلف ظلام المساء المتعب والليل قد

أكل ساعات من انتصافه حينما خرج من المبنى الكبير إلى الطريق الخالي، لف رأسه يميناً وشمالاً، دس يده في جيبه، أخرج علبة السجائر، استخرج منها سيجارة وأودعها بين شفتيه الغليظتين، أشعلها بعود ثقاب كان قد انتشله من قاع جيبه الآخر، الشارع ممتد أمامه بطول اللانهاية، يبدو له خالياً من ضجيج المركبات والخطوات وقد احتواه العجب لهذا الهدوء السائد على غير العادة "هذه المدينة التي لا يفرق قاطنوها بين نور النهار وظلام الليل، عيون تخلد للنوم في المساء وأخرى لا تعرف النوم إلا عندما يتضح نور النهار..." حدث نفسه بتلك الكلمات والعجب قد تفجر في عينيه، كل شيء هنا جامد حتى أوراق الشجر، إحساس السكون يبعث في النفس الريبة والخوف، أخذت خطواته تعبر الأرصفة تارة بخفة وتارات أخرى بثقل، بحث عن همسة أو حركة ليثبت لنفسه أنه مازال حياً!!!...

المشهد الثالث:

ملّ من وقوفه فأخذت خطواته بالسير على الرصيف المحاذي للطريق الطويل الخالي والمزدحم بأعقاب السجائر تحكي قصة أناس قد عبروا من هنا وتركوا شيئاً

من همومهم وتفكيرهم المقلق لنهار كان وانتهى، الصمت سائد وقد غلب الشوارع والأرصفة وأعمدة النور الباهت وحتى الأشجار، نسمات باردة تصفح خده وتحيله إلى قطعة جلدية يابسة...

واصل زحف خطواته وعند كل شارع جانبي يمسح بعينه مداه بحثاً عن حياة أو أية أثر يدل على وجودها فلا يجد سوى هرة قد تشبثت على حافة حاوية الفضلات تبحث هي الأخرى عن الحياة!!! وكلب استكان بجسده الهزيل الخامل بجانب عجلة لمركبة قد تدثرت بطقعة من قماش وحاذت الرصيف... أطرق النظر إلى هذين الحيوانين برهة من الزمن ثم رسم ابتسامة على محياه حينما طاف بذهنه عشقه الطفولي لمغامرات القط والفار، تلك المغامرات التي كان يبحث عنها من خلال جهاز التلفاز الذي يقبع في إحدى حجرات دار الجيران... لينتهي آخر النهار بعلقة ساخنة من أمه وعقله لا يفكر سوى بانتصار الفأر على القط!!!...

استرسل في خطواته نحو بقعة بعيدة تتميز بأنوار يغشاها الضباب تقترب كلما اقترب ويتهادى إلى مسمعه مواء قطط وصياح ديكة قادم من خلال تلك البقعة...

بيوت من طين... وقبور من تراب... ورحيل العمر كان

من هنا... وطِيءَ تلك البقعة وغادرها بـلا ذاكـرة.. نسـيها الزمن ولم تنس الزمـن!!! تلـك البيـوت التـي ابتعـدت عـن الحياة وسكنت بين الأمـوات تحكـي رحلـة الأيـام وضعـف الضعيـف وتحمـل جدرانهـا شـهادة وفـاة مدغومــة بـالختم الرسمي!!!...

المشهد الرابع:

توقفت خطاه فجأة...

تهادى إلى مسمعه ضجيج قادم مـن بعيـد قطـع كـل وثـائق الصمت، أدار ببصره للـوراء، مركبـة قادمـة بسـرعة ذات محرك مزعج، أشار لـها بيده هدأت من سرعتها وانزاحـت نحو اليمين وتوقفت، فتح الباب ودس جسده فيها...

= مساء الخير

= أهلاً... مساء... النور

= حارة المنسيين لو تكرمت

= تحت أمرك... للقمر... لحارة المذكورين

قهقه بصوت أجش ثقيل ومزعج، انطلـق بمركبتـه القديمـة مخلفاً وراءه كوماً من الدخان الأسود...

حدق ملياً بأجزاء المركبة، الغبار يكتنز كل مكان ورائحـة

غريبة نتنة تعم أجواء المركبة، أسند رأسه على نافذة المركبة المغلقة، لسعت خده برودتها، شعُر بها وبسرعة رفع رأسه عنها، التفت شمالاً حيث كان السائق، إنسان عصرت الحياة كل ملامحه وأنبتت شعر وجهه بشكل عشوائي تتقزز منه النفس، ورغم كل هذا فهو يبحث عن رضاها من خلال ما ترميه كهوف الليل على الأرصفة دون احتواء للرؤوس!!!...

لمحه السائق بنظرة جانبية حادة أزاح من جرائها نظراته نحو الأمام، شعر بابتسامة خبيثة ترتسم على شفاه السائق لم يأبه لها كثيراً، رفع السائق يده نحو جيبه العلوي وأخرج علبة سجائر مهترئة رخيصة الثمن، أخرج من جوفها سيجارة كانت آخر ما في العلبة، دسها بين شفتيه ثم فتح نافذته ورمى العلبة الفارغة بحركة معتادة، أشعل سيجارته وبدأ ينفث دخانها وكأنه الوحيد في المركبة...

أدار المذياع وقلب المحطات، توقف عند محطة كانت ترسل أغنية قديمة لوديع الصافي، وبدون مقدمات تهادى إلى أسماعهم صوت المذيع...

= والآن أعزائي المستمعين نكمل حوارنا مع الأستاذ الأديب...

لم يسمع اسم هذا الأديب فالسائق قد غير بث المحطة إلى

محطة أخرى بشيء من الضيق، لعجيج المركبة بضوضاء لا تبتعد كثيراً عن ضوضاء محرك المركبة وانسجم السائق معها وبدأ يترنم معها...

المشهد الخامس:

جالت بهم المركبة في طرقات متعددة، ضيقة المسار، أغلبها ترابية والسكون يعانق شفتيهما وصوت المذياع يعج بضوضائه وازعاجه... أحس بالاختناق يكاد أن كتم أنفاسه وأن المسافة إلى حارة المنسيين قد تمادت في البعد، فتح زجاج المركبة فصفع وجهه هواء بارد وقاس، تنفس بعمق، نظر إليه السائق نظرة ازدراء وضيق، أغلق الزجاج بسرعة واضطر أن يتنفس بقايا رائحة السجائر النتنة، استمر الصمت خاصة بعدما أغلق السائق جهاز المذياع حينما حانت نشرة الأخبار!!!

اعتدل في جلسته، أحنى رأسه نحو السائق وقال له محاولاً قطع هذا الصمت وهذه المسافة التي طالت...

= هل شاهدت المسرحية التي تعرض منذ سنوات؟

رمقه السائق بنظرة استنكار ثم أجاب بنبرة...

= لا

= لماذا؟

= لأني كل يوم أشاهد عدة مسرحيات بعضها مضحك وأغلبها مبك..

= وأين تشاهدها؟!!

= هنا - وأشار إلى المقعد الذي يجلس عليه - على هذا المقعد!!!

انتابه شيء من ضيق تغيرت على أثرها ملامح وجهه، أدلى برأسه إلى الأسفل، لمح ذلك القماش المتسخ، رفع رأسه باشمئزاز وفتح زجاج المركبة غير آبه بنظرات السائق الحادة وهمس لنفسه...

= المسرحية التي كنت فيها... مختلفة تماماً... فأنا البطل الوحيد فيها!!!...

المشهد السادس:

فتح باب غرفته ورمى جسده على السرير المهترىء، جال بنظره نحو أرجاء غرفته وركز نظره على تلك الكتب المكدَّسة فوق الرفوف، تأفف سئماً ثم سلط نظره على زاوية غرفته الشرقية حيث يقبع تحت النافذة مكتبه المزدحم بالأوراق والكتب هو أيضاً!!!...

افترت من عينه دمعة، رفع كفه ومسحها، انتابت جسده قشعريرة من برودة الجو، سحب اللحاف من تحت جسده

وتدثر به، استشعر ببعض الدفء المفقود منذ بداية مساء البارحة، وضع يديه تحت رأسه بعدما شبكهما بقوة، لحظات بطيئة مرت على وضعه هذا، رفع ظهره وتقرفص على سريره ثم رفع يديه عالياً وحدث نفسه بصوت عال:

"أنا... نعم... أنا... أنا البطل الوحيد... نعم البطل الوحيد..."

خفض من صوته حتى أصبح دون الهمس ثم تمتم:

"أنا البطل الوحيد... وأنا المشاهد الوحيد!!!...".

المشهد السابع:

حينما قدم المساء، دخل إلى مبنى المسرح الكبير من الباب الخلفي...

كان غبش المساء قد استوى على الأجواء الخارجية، استرسل خطواته مشياً عبر الممر الطويل ذي النور الباهت، فتح باب غرفة الاستراحة جذبته المرآة على الجدار، اقترب منها وتمعن جيداً بهيئته ثم خرج وأغلق الباب خلفه بعدما طبع على شفتيه بسمة رضى على هندامه العادي...

وفتح الستار...

وجوه قابعة في القاعة الفسيحة تتصفح الصحف والمجلات

الرياضية والفنية ونقاشات حادة تتمركز مضامينها حول محتوى تلك الصحف والمجلات... كان ذلك طبيعياً!!!

انتصف على خشبة المسرح واقفاً، تلفت يميناً وشمالاً، لم يكن أحد من الحضور قد تنبه إلى فتح الستار وخروجه إلى عرض خشبة المسرح لم يبال بذلك، فمنذ أن خنق القلم بين أنامله وهاج بأفكار الكتب الكثيرة وهو لا يبالي بعدم مبالاة الآخرين له...

هذا المساء سوف يتحدث بلغة الجمهور للجمهور!!!...

هذا المساء ستواتيه الجرأة ليقول... ويقول... ويقول

سوف يتحدث بإفاضة عن حكاية الأمس واليوم والغد، عن حارة سكنت خلف الأبراج العالية والمباني الشامخة، عن حارة المنسيين وحكاية المنسيين... ولم يتوان.......

تحدث كثيراً على خشبة المسرح وذرف دموعاً كثيرة، نبرات صوته نصف منتحبة، يداه لم تستطع أن تواكب سرعة انهمال دموعه، تحدث بكل الكلمات النائمة على لسانه من سنين، انفعل كثيراً حينما أفاقت الذاكرة من رقاد السنين والنسيان!!!...

هناك نفس قلقة داخل كيانه لم تعرف كيف السبيل للانسلال من الماضي.

لم يتمالك قوة انفعاله، فالماضي أكبر من لغة الحاضر!!!

خارت قواه وسقط على ركبتيه، دس رأسه بينهما وارتفع في الأجواء صوت نحيب!!!...

دقائق مرت، أعطته فرصة الظهور... الظهور أمام نفسه، حاول أن يقف ولم يستطع، رفع رأسه نحو الجمهور... لم يجد أحدا!!!...

انتابه إحساس بالذل والإهانة، فكر بالرجوع إلى دفء لحافه، استقام واقفاً بصعوبة، أدار ظهره إلى القاعة الفسيحة الخالية، تقدم بخطوات بطيئة، توقف فجأة، ترامت الذكريات أمام مرآة عينيه، ضغط بأصابعه على رأسه بقوة، لف جسده وأطال النظر إلى المقاعد الخالية، تموج نظره امتلأت القاعة بالأجساد، لم يكن هناك مقعد خال، تمعن بالنظر إليهم، ثم ابتسم، الصمت يخيم على الجمهور الغفير وكأن على رؤوسهم الطير، مد ذراعيه نحو الفراغ الفاصل بينه وبينهم، تقدم خطوات نحو الأمام وتحدث بصوت هادئ...

= "لا أريد أن ترحلوا... لا أريد أن أفقدكم، فأنا بشر مثلكم... خطيئتي الوحيدة أني قرأت كتاباً وكتبت حرفاً... ولكني مثلكم أتنفس نفس الهواء الذي تتنفسونه... ولكن"

صمت لبرهة من الزمن وكأنه يبحث عن صوته... ثم أردف قائلاً:

= "ولكن... لا أريد أن أبكي وحيداً!!!...".

وسقط مرة أخرى بقوة على خشبة المسرح...

... صمت وظلام... ورطوبة الدموع تفوح في الأجواء... وجسد منذ فجر الأمس قد توسد خشبة المسرح بلا حركة!!!...

* * *